الموصوفُ المُنْتَسِبُ إلى جَمْعِ صِفَتِهِ: دِرَاسَة فِي النّمَطِ والدّلالةِ

محمود عبد المنعم عبد الله قنديل الديب
أستاذ اللغة العربية وآدابها المساعد (تخصص لغة ونحو)- كلية الألسن- جامعة كفر الشيخ.

الملخص:

عالج هذا البحث النمط التركيبي للموصوف المنتسب إلى جَمْع صفته، نحو: (فلانٌ من العلماء) للدلالة على غرض رئيس هو انتظام الموصوف في سِلك الجمع الوصفي على جهة كمال الصفة وشهرتها، فضلًا عن أغراض فرعية أُخَرَ، كـ(هضم الذات) و(التعريض بجملة الجمع الوصفي) وفقًا لمقتضى السياق.

هدف البحث: رصد أنماط جملة (الموصوف المنتسب إلى جَمْع صفته)، لبيانِ صورِ هذا النمط وسماتِه التركيبية وأغراضِه الدلالية.

وقد جاء البحث في مقدمة وخاتمة وأربعة أنماط اعتمدتْ أداة الربط معيارًا فاصلًا على النحو الآتي:

النمط الأول: الانتساب بـ(مِنْ). النمط الثاني: الانتساب بـ(مَع).

النمط الثالث: الانتساب بـ(فِي). النمط الرابع: الانتساب بـ(الباء).

أهم نتائج البحث: الدور الدلالي لأداة الربط (مِن) وأخواتها هو جعلُ الموصوف واحدًا من جمعٍ- ثبتَ في كلام العرب ذِكْر الصفة قبل أداة الربط، نحو: (هو شريف من الأشراف)، لكنّ الاستعمال القرآني غلب عليه الاكتفاء بالموصوف، نحو: (وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [يوسف: ٢٧]- مَبْنَى هذا النمط التركيبي على الوصفية، فما جاء منه جامدًا في المفرد وجمعه مؤولٌ بوصفٍ- يقترن (الجمع الوصفي) بـ(أل) الجنسية التي للكمال، أو (أل) العهدية الدَّالّة على شهرة جماعة الموصوفين بهذا الوصف على إرادة (المعنى اللقبيّ).

الكلمات المفتاحية: أداة الربط- (أل) الجنسية أو العهدية- الجمع الوصفيّ- الموصوف.

The descriptor associated with the plural of its adjective: AStudy in Pattern and Semantics

This study explores the syntactic pattern of the descriptive plural, exemplified by constructions like “so-and-so is one of the scholars," aiming to maintain consistency in portraying the described entity within the plural descriptive framework, emphasizing its qualities of perfection and renown. Additionally, it explores subsidiary purposes such as self-reflection and highlighting the significance of the plural descriptive sentence based on contextual implications. The research aims to scrutinize the sentence patterns where the described entity is associated with its plural adjective form, elucidating the various forms, structural characteristics, and semantic functions inherent in this construction. Structured into an introduction, conclusion, and four patterns categorized by the conjunction employed as a differentiating criterion, the research delineates the association with these four patterns: min, ma’a, fi, and ba’a. This research found that the semantic function of the conjunction (min) and its equivalent forms play a semantic role in facilitating the aggregation of the described entities within the plural framework. This is substantiated by examples made by early Arabic language users to underscore the descriptive aspect by placing the adjective before the conjunction, as demonstrated by phrases like “He is honorable among the nobles”. Conversely, Qur’anic usage predominantly limits the adjective to describing the subject as in "And He is of the truthful ones" [Yusuf: 27]. This syntactic framework underscores the descriptive nature of the construction, characterizing singular forms as rigid descriptors and interpreting their plural forms as inherently descriptive. The utilization of 'the descriptive plural' with the definite article 'Al'—denoting nationality connoting perfection or referencing a covenant indicating fame—underscores the significance of descriptive intent within this construct, rooted in the essence of titular meaning.

Keywords: conjunction, nationality or covenant, descriptive plural, descriptor.

الموصوفُ المُنْتَسِبُ إلى جَمْعِ صِفَتِهِ: دِرَاسَة فِي النّمَطِ والدّلالةِ

محمود عبد المنعم عبد الله قنديل الديب
أستاذ اللغة العربية وآدابها المساعد (تخصص لغة ونحو)- كلية الألسن- جامعة كفر الشيخ.

مقدمة:

لدرس الأساليب العربية القياسية كبيرُ عناية في المصنفات النحوية، إذ لها أبوابها الخاصة التي تناولتْهَا شرحًا وتقسيمًا وتحليلا، سواء في معالجات النحويين أم البلاغيين. لكن ما زال في بيان العربية أنماطٌ تركيبية تفتقر إلى الرصد والتحليل والتقسيم، ومن هذه الأنماط الفريدة (الموصوف المنتسب إلى جمع صفته) باصطلاح البحث أو (جَعْل الموصوف واحدًا من جمعٍ) بتعبير القدماء من أهل اللغة والتفسير، وذلك نحو قوله تعالى: **(وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ)** [يوسف: ٢٧] إذ ينحو نمط التركيب إلى جعلِ الموصوف واحدًا من زُمرة الجمع الوصفي شهادة له باستحقاق هذا الوصف على جهة الكمال والشهرة، وقد عرَفت العربية التراثية هذا النمط التركيبي للغرض نفسه، نحو قول العرب: (هو شريفٌ من الأشراف)، تصريحًا بصفة الموصوف المعتزَم نظمُه في سِلْك الجماعة المشهورة بالصفة الكاملة فيها.

يَحفِلُ هذا النمط التركيبي- في بُعْدِه الإنساني- بتكرار صدور الحدث عن المرء وامتداد خبرته في الزمن حتى يُعْرَف بين الناس بتلك الصفة، إذ يصنع كل إنسان تاريخه الخاص ويكثفه في صفة ما تَسِمُ وجوده الزمني وسيرته في الخَلْق فيَعَلَمُونها وهم عليه شهود، فيثبتونها له أو عليه بأن يسلكوه في جملة أصحاب الكمال فيها وزمرة المشهورين بها، فيُوسم بعراقته فيها، ومن ثم يكون من طبقة (الصادقين) أو (الكاذبين) أو (المهتدين)... وما هو بهذي السبيل.

عراقةُ الوصف في هذا التركيب وكونُه شهادةً ذاتَ ثقل في الخبرة الإنسانية جعلَتْ لهذا النمط اللغوي المُعبِّر شَرَفًا في البيان، لذا وصفَ به ربُّ العزة أهلَ الكمال: (وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) [الصافات: ١١٢] وأدانَ به لوط- عليه السلام- عمل قومه معلنًا تمام بغضه: (إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ) [الشُّعَرَاء: ١٦٨] وشهد به شاهد

من أهلها ليوسف- عليه السلام-: (وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ) [يوسف: ٢٧] وارتقت به مريم البَتول ارتقاء: (وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ) [التحريم: ١٢] وبه توسّل إخوة يوسف إليه وهم لا يعرفون عنه إلا أنه العزيز: (إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) [يوسف: ٣٦] وبه هضم إسماعيل نفسَه معلنًا كمال الخضوع لأمر الله: (سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) [الصافات : ١٠٢] وتنزه به الأنبياء عن اتباع أهواء أقوامهم: (قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجاهِلِينَ) [البَقَرَة: ٦٧] و(قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) [الأنعام: ٥٦]، وأمر به ربُّ العزة أهل الصدق: (وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) [التوبة: ١١٩] ونهاهم أيضًا: (وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) [الأعراف: ٢٠٥] وأُقِرَّ به سيرورة ميراث النبوة في الخَلْق على لسان الأنبياء الكرام: (فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) [الشعراء: ٢١].

ولرسوخ الوصف فيه توسَّل به فرعون للنجاة: (وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ) [يونس: ٩٠] سالكًا نفسه في جملة الطائعين، فَرُدَّ عليه بضده تكذيبًا له: (آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) [يونس: ٩١] ونفذ به القضاء الإلهي: (إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ) [الحجر: ٦٠] و(فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ) [المؤمنون: ٤٨] و(فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) [الصافات: ١٤١] و(فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ) [هود: ٤٣].

ولبليغ أثر هذا النمط في النفوس أشهرَه أهلُ الافتراء سلاحًا في معاركهم ضد خصومهم، تدليسًا على الخَلْق، فمضى به فرعون يُكَذِّب موسى- عليه السلام- (وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ) [القصص: ٣٨] وكذَّبَ به أهل الهوى أنبياءهم لوطًا وشُعيبًا: (وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) [الأعراف: ٦٦] و(وَإِنْ نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ) [الشعراء: ١٨٦] تحريضًا عليهم مصداقًا لقوله تعالى: (وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوّاً مِنَ الْمُجْرِمِينَ) [الفرقان: ٣١] وبه هدَّد هؤلاء المجرمون المرسلين: (لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ) [الشعراء: ١١٦] و(لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ) [الشعراء: ١٦٧].

وبسبيله اعترف أهل الحسرة بذنوبهم: (قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) [المدثر: ٤٣] و(وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ) [المدثر: ٤٥] ومن جنس النمط قضى عليهم ربُّ العزة بالإبعاد: (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ) [القصص: ٤٢].

وخدعَ به إبليسُ آدم وحواء: (وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ) [الأعراف: ٢١] وغرّر به فرعون السحرة: (وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) [الشعراء: ٤٢] واتخذه الشاعر العربي دليلا على عراقة إبائه: (إِنِّي أَبِيٌّ... وابنُ أَبِيٍّ أَبِيٍّ من أَبِيِّينِ)... إنها سلسلة عريقة في شرف البيان.

الدراسات السابقة

لم يحظَ هذا النمط التركيبي- في حدود اطلاعي وبحثي- بأية دراسة معاصرة تُسلّط الضوء عليه رصدًا وجمعًا وتقسيمًا وتحليلًا، فضلا عن أن الدرس النحوي في عمومه لم يعنَ به نمطًا تركيبيًّا مخصوصًا، وإنما ألَمَّ ببعض شواهده في سياق تقديم متعلق الصلة على الموصول، مما ألجأ النحاة إلى التأويل والتقدير على نحو ما نبهوا في قوله تعالى: (وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) [يوسف: ٢٠] ونظائره، كما سيأتي بيانه.

أما النصيب الأوفى من التنويه بهذه الظاهرة، فكان عند المفسرين من أهل اللغة والبيان، وفي صدرهم الزمخشري وتبعه في ذلك ابن المنَيّر والطيبي في حاشيتهما على (الكشاف)، ولهما في توصيف هذا النمط التركيبي إلماعات دلالية، كما تواترت أصداء هذه العناية عند أبي حيان الأندلسي والسمين الحلبي والرازي والآلوسي والطاهر بن عاشور.

مشكلة البحث ومنهجه

على الرغم من فرادة نمط (الموصوف المنتسب إلى جمع صفته) وسطوعه في لسان العرب وتوسع القرآن في صوره، فإن المصنفات النحوية والبحوث اللغوية لم تُولِهِ العناية المستحقة، لذا سعى الباحث إلى رصد هذه الظاهرة التركيبية جمعًا وتقسيمًا وتحليلًا لأنماطها وصورها، لبيان خصائصها التركيبية وأغراضها الدلالية الرئيسة والفرعية.

وقد عُنيَ البحث بوضع تقسيم لأنماط هذا التركيب وتحليل عناصره تركيبيًّا وصرفيًّا ودلاليًّا متخذًا أداة الربط التي تجعل (الموصوف واحدًا من جمعٍ) معيارًا فاصلا بين أنماط التركيب، إذ ينتسب (الموصوف) إلى (جمع صفته) بواحدة من أربع روابط، هي على ترتيب الأصالة والشيوع: (مِنْ)، و(مَعَ)، و(في)، و(الباء).

أما منهج البحث فقد اعتمد في معالجته الأنماط التركيبية لهذه الظاهرة اللغوية **المنهج الوصفي**، منطلقًا **لتحليل (جملة النمط) تركيبيًّا ودلاليًّا**.

حدود البحث:

- الحد الموضوعي: ظهر في العنوان. - الحد الزماني: مفتوح.
- الحد المكاني: مفتوح. - الحد اللغوي: العربية.

إجراءات البحث:

اعتمد الباحث في معالجة هذا النمط التركيبي على:

١. جمع شواهد الظاهرة باستقرائها[١] في مظانها من (القرآن الكريم) و(الحديث النبوي الشريف) وكلام العرب شعرًا ونثرًا، والعربية المعاصرة.
٢. اعتماد طريقة المعادلة لتحليل الأنماط التركيبية للظاهرة اللغوية موضع البحث.

خطة البحث:

رتَّب الباحث معالجته للأنماط التركيبية لأسلوب (الموصوف المنتسب إلى جمع صفته) في مقدمةٍ وأربعة أنماط اعتمدتْ أداة الربط معيارًا تقسيميًّا على النحو الآتي:

النمط الأول: الانتساب بـ(مِنْ). النمط الثاني: الانتساب بـ(مَع).

النمط الثالث: الانتساب بـ(فِي). النمط الرابع: الانتساب بـ(الباء).

ثم خاتمة فيها أهم ما أثمره البحث من نتائج.

والله من وراء القصد،،،

[١] قصد الباحث (الاستقراء الناقص) وفقًا لما هو مقرر في الدرس اللغوي الذي يستعين بمظان النصوص موضع الظاهرة، وهو- كما ينبه الدكتور تمام حسان- منهج النحاة الذين استقرؤوا "ما وصل إلى أيديهم من النصوص مستغنين به عن غيره مما لم يصل إليهم، فكان ذلك منهم استقراء ناقصًا، وهو مطلب العلم المضبوط أو الصناعة" [الأصول، دراسة ابستيمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي: ٦٣].

النمط الأول: الانتساب بـ(مِنْ).

يقوم هذا النمط التركيبي- وهو الأصل- على انتساب المفرد الموصوف[٢] إلى جمعِ صفته بـ(من) التبعيضية الدالّة- بطريق الانتقال المجازي- على الانتماء الوصفي لا المادي[٣] إلى فئة مشهورة بصفةٍ معينة، كقولنا: (فلانٌ من العلماء)[٤] بدلا من التعبير المباشر بالمفرد (فلانٌ عالِمٌ)، ومن ثمَّ يأتي الإخبار بالجمع (مِن العلماء) لِجَعْل انتساب الموصوف[٥] إلى هذه الفئة، (أي: فئة العلماء) وَسْمًا له بهذه الصفة (كمال العِلْم)، فهي شهادة له "بكونِه معدودًا في زمرتهم ومعروفة مساهمته لهم في العلم"[٦]، ولا ينتظم معهم إلا بسبق وصفِه بـ(العِلم)، ليكون هذا الانتظام برهانًا على رسوخه في تلك الصفة على جهة التعبير الكِنَائي[٧].

و(أل) الداخلة على الجمع في هذا النمط ونظائره هي الجنسية المجازية التي تشمل "خصائص الجنس على جهة المبالغة"[٨]، فتفيد الكمال في الصفة المرادة على جهة التعظيم أو التحقير وفروعهما من تهويل أو تقليل، لذا يقال لها: "التي للكَمَال"[٩]. وحملها بعض أهل اللغة من المفسرين على (العهد) إشارة إلى شهرة جماعة الموصوفين بهذا الوصف.

---

[٢] الغالب في مجيء الموصوف الإفراد، لكن قد يأتي جمعًا أو ما في معناه، فيجري عليه الحكم الدلالي للمفرد بنَظمِه في سِلك الجمع الوصفي بعده.

[٣] لذا يخرج من هذا النمط نحو قوله- ﷺ-: "إنَّ قَوْمًا مِنَ المُوَحِّدِين يُحْبَسون يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى الكَوْمِ إِلَى أَنْ يُهَذَّبُوا" [النهاية في غريب الحديث: ٢١١/٤]، لكون (مِن) قاطعة في التبعيض المادي، إذ المعنى: (إنَّ بعض المُوَحِّدين...).

[٤] هو التمثيل الوارد عند أهل التفسير. ينظر، الكشاف: ٣٣٦/٣، ومفاتيح الغيب: ٥٢٦/٢٤، والتحرير والتنوير: ١٣٠/٦، كذلك جاء هذا المثال التأسيسي باستعمال حرف الجر (في): (فلانٌ في عداد العلماء) [حاشية الطيبي على الكشاف: ١٠٥/٤]، وأداة الربط (في) ضمن أنواع هذا النمط التركيبي.

[٥] بحكم أنَّ أصل التركيب: (فلانٌ عَالِمٌ مِن العلماء) تصريحًا بالصفة، وهو متحقق في كلام العرب. بيدَ أنَّ الاستغناء عنها أبلغ في سياقه، وهو الأكثر في النمط العالي من الكلام، كما سيأتي بيانه في متن البحث.

[٦] الكشاف: ٣٣٦/٣.

[٧] سيأتي بسط هذه الفكرة في تحليل الشواهد.

[٨] الجنى الداني في حروف المعاني: ١٩٤.

[٩] المرجع السابق: ١٩٤. جدير بالذكر أن خلو جماعة الموصوفين من (أل)، "كما يقال: (حُرٌّ من أحرار)، و(لئيمٌ من لئام)، أي: من جملتهم" [أمالي المرتضى: ٩٣/١] يجرّد التركيب من (كمال الصفة والاشتهار بها).

كما يعدّ هذا النمط التركيبي المرتَكِز على (مِن) التبعيضية الرابطة على جهة الانتماء الوصفيّ بين الموصوف وجمع صفته هو الأصل المتداول في ألسنة العرب، وقد يُصرّح بالصفة المنتسبة إلى جمعها، كقول أبي الإصبع العَدْوَاني [من البسيط]:

إنّي أَبِيٌّ أَبِيٌّ ذو محافظةٍ وابنُ أَبِيٍّ أَبِيٍّ من أَبِيّينِ[١٠]

والشاهدُ التصريحُ بالصفة (أَبِيٍّ) منتسبة إلى جمعها (أَبِيّينِ)[١١]، ومنه كذلك في الحديث الشريف: "هَاجَرَ إِبْرَاهِيمُ بِسَارَةَ دَخَلَ بِهَا قَرْيَةً فِيهَا مَلِكٌ مِنَ الْمُلُوكِ، أَوْ جَبَّارٌ مِنَ الْجَبَابِرَةِ"[١٢]. على أنَّ الأشيع الاكتفاء بالموصوف، وهو مسلكُ العربيةِ في القرآن الكريم، وعليه مدار الكلام عند أهل اللغة والتفسير كما سيأتي بيانه.

يأتي هذا النمط التركيبي المذكور فيه الصفة أو ما في حُكمها على ضربين:

الأول: ما يفيد كمال التعظيم أو التفخيم أو التهويل:

من شواهده في كتب اللغة:

- "ومن المجاز: هو داهِيَةٌ مِن الدَّواهي. إذا كان بصيرًا بالأمور مفكرًا"[١٣].
- "ويقال: فلانٌ عُضْلَةٌ من العُضَل، أي: داهيةٌ من الدَّواهي"[١٤].
- "يُقال: هو صِنْدِيدٌ من الصَّنَادِيد، أَي داهِيَةٌ من الدَّوَاهِي"[١٥]، و"السيد الضخم"[١٦].
- "وبَقَعَتْهُمْ باقِعَةٌ من البَواقِع، أي: داهِيَةٌ مِن الدَّواهي"[١٧]، "والباقِعَةُ: الدّاهِيةُ من الرِّجال"[١٨].

---

[١٠] المفضليات: ١٦٣.
[١١] والأصل فتح نون (أَبِيّينَ)، لكنه "شَبَّهَ نُونَ الجَمعِ بِنُونِ الأَصْلِ فَجَرَّهَا" [المحكم والمحيط الأعظم: ٥٥٩/١٠، وينظر، سر صناعة الإعراب: ٦٢٨/٢] كنون (شياطين).
[١٢] صحيح البخاري (٦٩٥٠) حسب ترقيم فتح الباري: ٢٧/٩.
[١٣] أساس البلاغة، دهي: ٢٩٠/١.
[١٤] المرجع السابق، عضل: ١٢٤/٢.
[١٥] تاج العروس، صند: ١٧٨/٢١، وينظر، أساس البلاغة، صند: ٢٨/٢.
[١٦] أساس البلاغة، صند: ٢٨/٢.
[١٧] كتاب العين، بقع: ١٨٤/١.
[١٨] المرجع السابق، بقع: ١٨٤/١.

- "وأصابته فاقعةٌ من فواقع الدهر، وهي بوائقه"[١٩].
- "ومن المجاز: لفلان شرف وهو علو المنزلة، وهو شريفٌ من الأشراف"[٢٠].
- "ومن المجاز: هو قَرْمٌ من القُروم. ومُقْرَم: سيّد"[٢١].
- "ومن المجاز: فلان مُصْعَبٌ من المَصَاعب، كما تقول: قَرْمٌ من القُروم"[٢٢].
- "هو صانعٌ من الصنّاع، ماهرٌ في صناعته وصنعته"[٢٣].
- "قولهم: إنما هو شَيْطانٌ من الشياطين"[٢٤]، و"يُرَاد به النشاط والقوة والبَطَر"[٢٥]، ونقلها الطاهر بتصرف يسير له نظير في الكلام: "تقول العرب: فلانٌ من الشياطين ومن شياطين العرب"[٢٦]، أي: من الماكرين الأشداء أو مثيري الشر أو المفسدين[٢٧]، ومنه ما جاء في (مجمع الأمثال) للمبالغة في القوة والشجاعة: "أمَّا ابنه سعد فكان شجاعًا بطلًا من شياطين العرب"[٢٨].
- جاء في شرح نهج البلاغة: "فمشت قريش إلى أبى لهب، فقالوا له: إنك سيّدٌ من سادات قريش..."[٢٩].

الثاني: ما يفيد كمال التحقير أو التقليل:

من شواهده في كتب اللغة:

- "فلان رَعَاعَة من الرَّعَاع"[٣٠].

---

[١٩] أساس البلاغة، فقع: ٢٠٩/٢.
[٢٠] المرجع السابق، شرف: ٤٨٧/١.
[٢١] المرجع السابق، صعب: ١٩/٢.
[٢٢] المرجع السابق، صنع: ٢٨/٢.
[٢٣] المرجع السابق، قرم: ٢٤٨/٢.
[٢٤] مجمع الأمثال: ٥٠/١.
[٢٥] المرجع السابق: ٥٠/١.
[٢٦] التحرير والتنوير: ٢٨٦/١.
[٢٧] ينظر، المرجع السابق: ٢٨٦/١.
[٢٨] مجمع الأمثال: ٧٢/١. وهو تعبير سائرٌ في كتب الأدب.
[٢٩] شرح نهج البلاغة: ٩٥/١٤..

- "هو صُعْلوكٌ من الصعاليك"[٣١].

- "وفلانٌ خسيسٌ من الخِسَاس، غُسٌّ من الأَغْسَاس"[٣٢].

- "هو طَغَامةٌ من الطَّغَام: وَغْدٌ من الأوغاد"[٣٣].

ومَبْنَى هذا النمط التركيبي على الوصفية، لذا فإنَّ ما يجيء منه جامدًا في المفرد وجمعه مؤولٌ بوصفٍ، نحو قولهم: "ما هو إلا سَبُعٌ من السِّباعِ، للضَّرَّارِ. وهو مَجَاز"[٣٤]، فكأنه نهجٌ معروف، وكذا "هو ضِرْغام من الضَّرَاغِمَة"[٣٥]، أي: شجاع ينتسب إلى جملة الموصوفِين بالشجاعة، ومثله "وهو قربان من قرابين الملك: من خواصه ومقرّبيه"[٣٦].

وقد يُؤَوَّلُ الضميرُ هذا التأويلَ الوصفيَّ، كما في قوله- ﷺ-: "مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا"[٣٧]، والمعنى "ليس على سِيرتِنا ومذْهَبِنَا والتَّمسُّكِ بِسُنَّتِنَا"[٣٨]، فَكنّى بضمير المتكلمين (نَا) عن جماعة الموصوفين، إذ فيه تحذيرٌ للمسلم الغاشّ أنه بصفته هذه سيكون قد خرج من كمال الاتصاف بصفات الجماعة المسلمة، فمقتضى اللفظ يَؤُولُ بالتقدير إلى نفي انتساب الموصوف إلى سلك الجمع الوصفي المَكنيّ عنه بضمير الجمع على جهة سلب كمال الاتصاف.

ونظير ذلك قول الشافعي [من الوافر]:

أُحِبُّ الصالِحينَ وَلَستُ مِنهُم لَعَلّي أَن أَنالَ بِهِم شَفاعَه[٣٩]

فعدَل عن (ولستُ صالحًا) إلى (وَلَستُ مِنهُم)، أي: (وَلَستُ مِن الصالحين) على جهة النفي هضمًا للذات.

---

[٣٠] أساس البلاغة، رعع: ٣٤٩/١. و(الرعاعة): مَن لا قلب له ولا عقل.
[٣١] المرجع السابق، صعلك: ١٧/٢. الغسّ: اللئيم الضعيف.
[٣٢] المرجع السابق، غسس: ١٦٤/٢.
[٣٣] المرجع السابق، غسس: ١٦٤/٢.
[٣٤] تاج العروس، سبع: ١٧٨/٢١، وينظر، أساس البلاغة، سبع: ٤١٩/١.
[٣٥] أساس البلاغة، ضرغم: ٤٨/٢.
[٣٦] المرجع السابق ، قرب: ٢٤٠/٢.
[٣٧] صحيح مسلم: ٩٨/١.
[٣٨] النهاية في غريب الحديث: ٣٦٦/٤.
[٣٩] ديوانه: ٧٤.

والضابط في إنزال الجامد ضميرًا كان أو غيره منزلة الجمع الوصفي أن يجوز تأويله بالوصف، ليصحَّ انتساب الموصوف إليه على جهة كمال الوصف أو شهرته.

ومن الجامد المؤول بوصف قول لسان الدين بن الخطيب: "ومن ذلك في وصف أبي عمرو بن عباد... كان ببلده رحمه الله عينًا من أعيانِها وقريعُ بيتٍ من بيوتاتِ إحسانها"[٤٠]، على تأويل: كان وجيهًا من وجهائها، وشريفًا من أشرافها.

وقوله- ﷺ-: "إِنَّ مِنْبَرِي عَلَى تُرْعَةٍ مِنْ تُرَعِ الْجَنَّةِ"[٤١]، و"التُّرْعَة: الدَّرَجة"[٤٢]، ففيها مجاز عن رفعة المكانة وشرفها.

ومن التصريح بالموصوف وصفته معًا ما ورد في الحديث: "وَكُنْتُ امْرَءًا مِسْكِينًا مِنْ مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ"[٤٣]، نظمًا للموصوف في سِلك جماعة الموصوفين (مَسَاكِينِ الصُّفَّةِ).

والأغلب في حالة جمع التكسير اقترانه بـ(أل) الجنسية التي تستغرق صفات الجنس على جهة الكمال، أو العهدية التي تنحو بالجمع إلى ملاحظة الصفة الجامعة لذوات الأفراد المتصفين بها على إرادة (المعنى اللقبيّ)[٤٤] الذي تُشتَهر به هذه الفئة كأنه علَمٌ عليها.

وقد يُصرَّح بموصوف الجمع الوصفيّ، كما في قولهم على جهة المدح: "وهي سَمحة من نسوةٍ سِمَاح، ورجل مِسْمَاحٌ من قومٍ مساميح"[٤٥]، "ومغوار من قومٍ مغاوير"[٤٦]. وقولهم على جهة الذم: "ورجل غاشٌّ من قوم غَشَشة وغَشّاشة"[٤٧]، وهذه هي الصورة التي يُصَرَّح فيها بكل عناصر التركيب لهذا النمط، وَفقًا لنمط المعادلة الآتية:

---

[٤٠] رَيحانة الكُتَّاب ونُجْعَة المُنْتَاب: ٣٩٥/٢. و"القَريع: السيّد" [تاج العروس، قرع: ٥٤٠/٢١].
[٤١] سنن البيهقي الكبرى: ٢٤٧/٥، وينظر، أمالي الزجاجي: ١٣٥.
[٤٢] أمالي الزجاجي: ١٣٥.
[٤٣] صحيح البخاري (٢٠٤٧) حسب ترقيم فتح الباري: ٦٨/٣.
[٤٤] هذا المصطلح منصوص عليه في كلام الطاهر بن عاشور [ينظر، التحرير والتنوير: ٣٦١/١] على إرادة اشتهار الوصف بإطلاقه على فئة محددة، فينزل منزلة اللقب عليها، وقد انتزعه الطاهر من كلام ابن المنَيّر في حاشيته على الكشاف [ينظر، الكشاف (الحاشية): ٣٣٥/٣، وحاشية الطيبي على الكشاف: ٤٠٧/١١] وسيأتي ذكر ذلك في موضعه من البحث.
[٤٥] أساس البلاغة، سمح: ٤٥٦/١.
[٤٦] المرجع السابق، غور: ١٧٧/٢.

(الموصوف المنتسب + صفته + موصوف الجمع الوصفي + الجمع الوصفي).

هذه هي الصورة الأولى المُفصَّلة لهذا النمط التركيبي، لكنه صار أكثر كثافة في الاستعمال القرآني الذي طوى الصفة استغناء عنها بـ(أداة الربط الجارّة + الجمع الوصفيّ)، كما تنوعت صوره إثباتًا ونفيًا، فضلًا عن عوارض التركيب التي ظهرت في بعض أنماطه.

ومما يَمِيزُ هذا النمطَ في مُحكم التنزيل عدمُ التصريح مطلقًا بالصفة المفردة اكتفاءً بالموصوف الذي يكون في موقع الابتداء غالبًا، بحكم استقرار عناصره في لسان العرب، مما هَيَّأَ له في الاستعمال القرآني التصرُّف في بعض عناصره على وجهٍ أبلغَ وأكثر حيوية وملاءمة للسياق، كما يتحقق فيه رسوخ الصفة، ولا سيما حين يُقَارَن بنظيرٍ له آخرَ جاء على صورة الإفراد في سياق مختلف، كقوله تعالى: **(سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)** [الصافات: ١٠٢] وقوله تعالى: **(سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا)** [الكهف: ٦٩][٤٨].

وارتكاز هذا النمط التركيبي على (مِن) التبعيضية أو ما يلحق بها من سائر الأدوات أغنى عن تكرار الصفة، وقد نبَّه الفراء على ذلك قائلا: "وقوله: (هَبْ لِي مِنَ الصَّالِحِينَ) [الصافات: ١٠٠] ولم يقل: صَالِحًا، فهذا بمنزلة قوله: (ادْنُ فَأَصِبْ مِن الطَّعَامِ)، وهو كثيرٌ: يُجْتَزأ بِـ(مِنْ) عن المضمر[٤٩]، كما قال الله: (وَكانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) [يوسف: ٢٠] ولم يقل: (زاهدين من الزاهدين)"[٥٠].

على هذا الأصل يقدّر أهل اللغة والتفسير الصفة إذا اقتضى التركيب ذلك، ومنه قول أبي حيان: "(وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) معطوف على قوله: (وجيهًا)، وتقديره: ومُقَرَّبًا من جملة المقربين"[٥١].

---

[٤٧] المرجع السابق، طغم: ٧٢/٢.

[٤٨] سيأتي بيان المقارنة بين التركيبين في موضعه من البحث.

[٤٩] يقصد المفعول به المقدَّرَ قبل (مِن)، أي: شيئًا من الطعام، وقبلها: صالحًا من الصالحين.

[٥٠] معاني القرآن: ٣٨٩/٢.

[٥١] البحر المحيط: ٤٨٢/٢. ونص الآية الكريمة: (وَجِيهًا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) [آل عمران: ٤٥].

وعليه كذلك قوله تعالى: **(وَكَهْلًا وَمِنَ الصَّالِحِينَ)** [آل عمران: ٤٦] "أي: وصالحًا من جملة الصالحين"[٥٢]، وهم الكاملون في الصلاح.

وهو التقدير الثابت السائر في تفسير أهل النظر من العلماء لِمَا يعرض في كلامهم، ومن ذلك قول ابن يعيش: "وقوله [أي: الزمخشري](على أن جعلني من علماء العربية)، أي: (صيَّرني عالِمًا من عُلمائها)"[٥٣].

ويمكن تحليل شواهد هذا النمط التركيبي في القرآن الكريم عبر نوعي الخبر والإنشاء[٥٤]، وفي كلِّ نوعٍ أنماطُه الرئيسة والفرعية على النحو الآتي:

النوع الأول: صورة الخبر، وفيها نمطان:

أولا: جملة النمط المثبتة:

الأصل الغالب في نمط (الموصوف المنتسب إلى جَمْع صفته) أن يكون جملة اسمية- أو ما هو في حكمها- ركناها:

١. (الموصوف) الذي يقع في هذا النمط التركيبي على الأغلب مبتدأ أو ما كان في حكمه، والأغلب فيه- كما ورد في الاستعمال القرآني- أن يكون ضميرًا مفردًا. وقد يقع حالًا، كما في قوله تعالى: **(وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)**[٥٥] [آل عمران: ٣٩] وقوله تعالى: **(وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)** [الصافات: ١١٢]، والمعنى: "وصالحًا من جملة الصالحين"[٥٦].

٢. (جمع صفة الموصوف) وهو الجمع الوصفي المجرور بـ(مِن) في موقع الخبر عدولا عن الفعل أو الوصف المفرد، على نحو ما ذُكِرَ في المثال التفسيري والتأسيسي (فلانٌ من العلماء)[٥٧] بدلا من التعبير بالوصف المفرد (فلانٌ عالِمٌ).

---

[٥٢] المرجع السابق: ٤٨٣/٢.

[٥٣] شرح المفصل: ٤٣.

[٥٤] ينظر في قسمة الإنشاء [الأساليب الإنشائية في النحو العربي: ١٨٨، وما بعدها].

[٥٥] (نَبِيًّا) حال معطوفة على (مُصَدِّقًا) في قوله تعالى: (أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى مُصَدِّقًا بِكَلِمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَسَيِّدًا وَحَصُورًا وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) [آل عمران: ٣٩]، ينظر: التبيان في إعراب القرآن: ٢٥٧/١.

[٥٦] البحر المحيط: ٤٦٨/٢.

[٥٧] وَجْهُ التأسيس في هذا المثال أن المفسرين جعلوه بابًا دالًّا على هذا النمط التركيبي، ومن ذلك قول الطيبي مثلا: "وقوله [أي: الزمخشري]: (رفيع الطبقة مِن بينهم) إشارة إلى أنَّ التركيب من باب قولهم: (فلانٌ من العلماء)" [حاشية الطيبي على الكشاف: ٢١٥/١٤].

وعُبِّرَ عن المبتدأ بالموصوف إنزالًا للمبتدأ منزلة الموصوف لاتفاقهما في الجمود، والخبر منزلة الصفة، لأنَّ "الصفة خبرٌ في الحقيقة"[٥٨]، كذا الخبر المشتق هو وصفٌ من الجهة الصرفية والدلالية، ومعلومٌ أنّ الخبر إذا كان "صفة [أي: مشتقًّا تابعًا] تُثنى وتُجمَع وتُؤنث وتُذَكَّر، نحو: قائم وقاعد وحَسَن وما أشبه ذلك"[٥٩] كـ(الموصوف وصفته) باستثناء المطابقة في التعريف والتنكير على ما هو مقرَّر.

كما حُملت بعض هذه الأنماط التركيبية إعرابيًّا على (الموصوف وصفته)، فقدّر علماء العربية (شبه الجملة = مِن + الجمع الوصفي) صفةً للموصوف ولا سيما حين يكون حالا، نحو قوله تعالى: **(وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)** [آل عمران: ٣٩] فـ"(مِنَ الصَّالِحِينَ) صفة لقوله (نَبِيًّا)، فهو في محل نصب"[٦٠].

كذلك لم تخلُ التوجيهات الإعرابية لشبه الجملة التي في موضع الخبر من الحمل على الصفة على تقدير خبرٍ آخر هو الوصف المحذوف، ومن ذلك قوله تعالى: **(إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ)** [الشُّعَرَاء: ١٦٨] "وقيل: (من القالِيْن) صفةٌ لخبرٍ محذوفٍ. وهذا الجارُّ متعلِّقٌ به. أي: إنّي قالٍ لِعملكم من القالِيْنَ"[٦١]. على أنّ الأرجح في نحو ذلك أن يكونَ شبهَ الجملة خبرًا كما هو ظاهرٌ في صيغة التمريض.

وقد يطرأ على (جملة النمط) ما يطرأ من عوارض تركيبية للتوكيد وتقييد للمعنى، فعلى ذلك يمكن التدرج في معالجة الشواهد من البسيط إلى المركَّب على النحو الآتي:

أ) (الموصوف + مِن + الجمع الوصفي).

من شواهد ذلك قوله تعالى: **(وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ)** [الشعراء: ١٩]، أي: من الكافرين بنعمة فرعون عليه أو بألوهيته[٦٢]، ولم يقل فرعون (وأنت كافرٌ) أو (وكفرتَ) بل سلكه في جملة الموسومين بهذه الصفة (الكفران)، ليكون

---

[٥٨] شرح المفصل: ٢٤٩/٢.
[٥٩] البسيط: ٥٨٣/١.
[٦٠] الدر المصون: ١٥٨/٣.
[٦١] المرجع السابق: ٥٤٣/٨، والباعث لهذا التوجيه الإعرابي التخلص "من تقديم الصلة على الموصول" [التبيان في إعراب القرآن: ١٠٠٠/٢] وسيأتي مزيد تفصيل لهذه المسألة في موضعها من البحث.
[٦٢] ينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ٣٣٥/١١، والجامع لأحكام القرآن: ٩٥/١٣، وروح المعاني: ٦٨/١٠.

ذلك "حُكمًا عليه بأنه (مِنَ الْكَافِرِينَ) بالنعم، ومن كانت عادته كفران النعم لم يكن قتل خواص المُنْعِمِ عليه بدعًا منه. أو بأنه (من الكافرين) لفرعون وإلهيته"[٦٣] على جهة التهديد، فيكون ذلك أبلغ في الكفران.

وكان واجبًا أن يثبت موسى- عليه السلام- كذب فرعون فدفَعَ "الوصف بالكفر عن نفسه، وبرّأ ساحته، بأن وضع (الضالين) موضع (الكافرين)"[٦٤]: **(فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ)** [الشعراء: ٢٠] "ربنًا بمحل مَنْ رُشِّح للنبوّة عن تلك الصفة"[٦٥]، والمعنى محمول على الإقرار بالقتل خطأ وجهلا بأنَّ وكزته ستؤدي إلى القتل، فقد كان قصده منها التأديب[٦٦]، وجَعَلَ إقراره ضمن جملة من يخطؤون (مِنَ الضَّالِّينَ) ليكون ذلك أهون لعدم انفراده بالخطأ[٦٧]، فهو مما قد يقع من أي أحد في كل زمان بغير تعمُّد.

ومن هذا البحر قوله تعالى على لسان فرعون وهو يغرق: **(وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)** [يونس: ٩٠]، "أي: مِن الموحدين المستسلمين بالانقياد والطاعة"[٦٨]. ولم يقل (وَأَنَا مسلم) أو (أسلَمْتُ)، لأنه أراد أن يسلك نفسه في زمرة المنقادين لله، مدّعيًا الانتماء إلى "سلك الراسخين في ذلك"[٦٩]، "طمعا في القبول والانتظام معهم في سلك النجاة"[٧٠].

ولا تخلو جملة النمط هنا من إقرار المُتَمَسِّح بزمرة المسلمين لا عن قناعة أو إيمان حق، فهو إذعان المتأبّي المستكبر.

ونظيره على جهة التسليم الحقّ لله قوله تعالى: **(وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)** [فصلت: ٣٣] ففيه دلالة إقرار الموقن المتشبّع بخلاف الأولى. ومن هذا الباب أيضًا قوله

---

[٦٣] الكشاف: ٣١٢/٣، وينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ٣٣٥/١١، وروح المعاني: ٦٨/١٠.
[٦٤] المرجع السابق: ٣١٢/٣، وينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ٣٣٥/١١، وروح المعاني: ٦٨/١٠.
[٦٥] المرجع السابق: ٣١٢/٣، وينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ٣٣٥/١١، وروح المعاني: ٦٨/١٠.
[٦٦] ينظر، مفاتيح الغيب: ٤٩٦/٢٤، وروح المعاني: ٦٩/١٠.
[٦٧] هذا قريبٌ جدًّا من دلالة (هضم الذات) بضمها إلى (المجموع) كما سيأتي بيانه عند تحليل بعض شواهد هذا النمط التركيبي.
[٦٨] الجامع لأحكام القرآن: ٣٧٩/٨.
[٦٩] روح المعاني: ١٧١/٦، وينظر، التحرير والتنوير: ١٧٠/١١.
[٧٠] المرجع السابق: ١٧١/٦، وينظر، التحرير والتنوير: ١٧٠/١١.

تعالى: **(وَهُوَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)** [يوسف: ٢٦] وقوله تعالى: **(وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ)** [يوسف: ٢٧]... ومثل ذلك كثير.

وكان المتبادر في نسق هذه التراكيب ونظائرها أن يُعَبَّر بالفعل أو معادله المشتق المفرد، فيقال: (وكفرتَ، وضللتُ، وأسلَمْتُ)، فَعُدِلَ "عن التعبير بالفعل[٧١] إلى التعبير بالصفة المشتقة"[٧٢]، ثم جُعِلَ "الموصوف بها واحدًا من جَمْعٍ"[٧٣]، لأنَّ "التعبير بالفعل إنما يُفْهَمُ وقوعُه خاصة، وأمَّا التعبير بالصفة ثم جَعْل الموصوف بها واحدًا من جمع، فإنه يُفْهِمُ أمرًا زائدًا على وقوعه، وهو أن الصفة المذكورة كالسمة لموصوفٍ ثابتة العلوق به، كأنها لقب، وكأنه من طائفة صارت كالنوع المخصوص المشهور ببعض السمات الرديئة"[٧٤] أو الحسنة، وهذا عامٌّ في نحو هذا التركيب.

والشهرة التي يقررها ابن المنيّر فتجعل (الجمع الوصفي) لقبًا على جماعة الموصوفين تَؤُولُ بـ(أل) في نحو (الضالين) وغيرها إلى دلالة العهد، فإذا قُصد (كمال الوصف) كانت (أل) جنسية مجازية، وكلتا الدلالتين جائزة محتملة في كل ذلك[٧٥].

ومن هذا النمط قوله- ﷺ-: "... قَالَ: أَلَكَ مَسْكَنٌ تَسْكُنُهُ؟ قَالَ: نَعَمْ. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الأَغْنِيَاءِ. قَالَ: فَإِنَّ لِي خَادِمًا. قَالَ: فَأَنْتَ مِنَ الْمُلُوكِ"[٧٦]، فعدَل عن الوصف المفرد (غني، ومَلِك)، للدلالة على رسوخ الوصف بـ(الغِنَى والترف) بجَعْلِ المخاطَب في جُملة (الأَغْنِيَاءِ والْمُلُوكِ) المعروفين بهذا المعنى اللقبي.

وقد يأتي الموصوف في هذا النمط ضمير جمعٍ، كقوله تعالى: **(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ)** [القصص: ٤٢] أي: من المهلكين الممقوتين المبعدين أو

---

[٧١] أو معادله وهو (اسم الفاعل) المفرد: (كافر أو ضالّ أو مُسلم) على نحو ما مرَّ ذِكْره.
[٧٢] الكشاف (الحاشية): ٣٣٥/٣.
[٧٣] المرجع السابق (الحاشية): ٣٣٥/٣.
[٧٤] المرجع السابق (الحاشية): ٣٣٥/٣.
[٧٥] ينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ٤٠٧/١١.
[٧٦] صحيح مسلم: ٢٢٨٥/٤، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٠٦٥.

المشوهين الخلقةَ بسواد الوجوه وزرقة العيون[٧٧]، ضمًّا للموصوف (هم) إلى جملة مَنْ حق عليهم العذاب.

ومنه مجيء الموصوف اسم إشارة دالًّا على الجمع كما في قوله تعالى: **(وَأُوْلَئِكَ مِنَ الصَّالِحِينَ)** [آل عمران: ١١٤] "والمعنى: وأولئك الموصوفون بما وصفوا به من جملة الصالحين الذين صلحت أحوالهم عند الله تعالى ورضيهم"[٧٨]. والجملة الاسمية في كل ذلك دالّة على الدوام والثبات والاستمرار على ما هو مقرّر.

كما جاء الموصوف- على قلة- اسمًا ظاهرًا، كقوله تعالى: **(وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)** [آل عمران: ٣٩]. وقوله تعالى: **(وَإِسْمَاعِيلَ وَإِدْرِيسَ وَذَا الْكِفْلِ كُلٌّ مِنَ الصَّابِرِينَ)** [الأنبياء: ٨٥].

إنَّ غلبة صفة معينة على جملة الموصوفين بها جعلتها وسمًا عليهم يُعرفون بها لفرط رسوخها فيهم وشهرتهم بها، والأغلب عدم التصريح بـ(موصوف الجمع الوصفي) لشدة العناية بالصفة الغالبة على هذه الفئة تكثيفًا للذات والصفة معًا في لفظ واحد، كـ(الضالين أو الجاهلين أو الكاذبين)، كأنهم لا ينفكون عنها ولا يُعرفون بغيرها، وكذا الدلالة على فرط انغماس الموصوف الواحد في جملة أصحابها اندماجًا وتطبّعًا، بعد سَبْق الاتصاف بها.

ومن هذا الباب قوله- ﷺ-: "وَمَن مَاتَ بِأَحَدِ الْحَرَمَيْنِ بُعِثَ مِنَ الآمِنِينَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[٧٩]، فقال (مِنَ الآمِنِينَ) بدل قوله (آمنًا)، للدلالة على دخوله في جملة الموصوفين بالأمن، ورسوخ الصفة له.

ومنه قول جُحَيش الهَمْدَاني[٨٠] [من المتقارب]:

ولكنَّنِي مِنْ كِرام الرِّجَالِ إذا ذُكِرَ السَّيِّدُ الأشْرَفُ[٨١]

---

[٧٧] ينظر، الجامع لأحكام القرآن: ٢٩٠/١٣، وروح المعاني: ٢٩١/١٠.
[٧٨] مفاتيح الغيب: ٣٣٤/٨.
[٧٩] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢٠٦٥.
[٨٠] هو مولى حازم بن المنذر الحمَّاني.
[٨١] ينظر، مجمع الأمثال: ٣٣٣/١.

فعدَل عن (ولكنني كريمٌ)، ليسلك نفسه في عقد الكرام، اتصافًا بكمال الصفة.

ومنه كذلك قول شهاب الدين الخفاجي [من الخفيف]:

كَمْ أُناسٍ مِنَ الكِرامِ تَوَلَّوْا في نعيمٍ وطِيبِ عَيْش مُواتِي[٨٢]

فقال: (كَمْ أُناسٍ مِنَ الكرامِ تَوَلَّوْا) بدلا من: (كَمْ أُناسٍ كِرامٍ تَوَلَّوْا).

وقد يُصرَّح في هذا النمط بـ(موصوف الجمع الوصفي)، فتصير الصفة المشتهرة كـ(الجهل أو الظلم أو...) عنوانًا لقومية هذ الجمع، يدلّ على ذلك التصريح بلفظ (القوم)- وهو الموصوف- في مواضع أُخَر من القرآن الكريم، كقوله تعالى: **(وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** [التحريم: ١١]، ففي التصريح تحديدٌ لجماعة الموصوفين باعتبارهم أشخاصًا معروفين في زمن ومكان محددين وليست مجرد جماعة متخيلة يُسلك فيها الموصوف على سبيل رسوخ الصفة فيه بطريق التعبير الكنائي، فَهُمْ- مثلا في الآية الكريمة- (فرعون وجنوده)، فضلا عن التعريض بهم. ونظير ذا قوله تعالى: **(إِنَّهَا كَانَتْ مِن قَوْمٍ كَٰفِرِينَ)** [النمل: ٤٣].

ومثل ذلك- مع الفارق- في مزيد التحديد قوله تعالى: **(إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)** [الصافات: ١١١] فأفاد قوله "(إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا) أنه ممن استحق هذا الوصف"[٨٣]، وإضافة (عباد) إلى ضمير الجلالة إشعار بالتقريب ورفع الدرجة، وهو مقتصر على المؤمنين تنويهًا بشأن الإيمان[٨٤]. ونظيره قوله تعالى: **(إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ)** [يوسف:٢٤]، و**(إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ)** [الصافات: ١٢٢].

وجه الفرق أنَّ هذه االتراكيب تحمل ما يشبه الصفتين (عبادنا والْمُؤْمِنِينَ/ الْمُخْلَصِينَ)، إذ إننا إزاء نمط يحمل فيه الموصوف (عبادنا) معنى وصفيًّا (العبودية لله) بخلاف كلمة (قوم) المفتقرة إلى الوصف الآتي بعدها، لخلوّها من معنى الوصفية البارز في كلمة (عبادنا).

---

[٨٢] نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة: ٢١٨/٤.
[٨٣] التحرير والتنوير: ٥٠/٢٣.
[٨٤] ينظر، المرجع السابق: ٥٠/٢٣.

ومنه قول أحمد بن يوسف الكاتب لولد سعيد [من الكامل]:

أَبَنِي سَعيد إِنَّكُم مِنْ مَعْشَرٍ لَا يَعْرِفُونَ كَرَامَةَ الأَضْيَافِ[٨٥]

والمعنى: إِنَّكُم بخلاء مِنْ مَعْشَرٍ بخلاء أو إِنَّكُم غير كرماء مِنْ مَعْشَرٍ غير كرماء.

ومنه كذلك قول البارودي [من الخفيف]:

أَنَا مِنْ مَعْشَرٍ كِرامٍ عَلَى الدَّهْـــ ـرِ أَفَادُوهُ عِزَّةً وَصَلاحَا[٨٦]

كأنه قال: أنا كريمٌ مِنْ مَعْشَرٍ كِرامٍ.

وقد تُحذف صفة جماعة الموصوفين، كما ورد في قوله تعالى: **(إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ)** [هود: ٤٦]، "أي: الناجين"[٨٧]، والمحذوف كالثابت في التقدير النحوي.

قد يتصدّر هذا النمطَ (إنّ) الناسخة، كقوله تعالى: **(فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ)** [الأعراف: ١٣] أي: "من أهل الصغار والهوان على الله وعلى أوليائه لتكبرك"[٨٨]، واشتد في إثبات الصَّغَار له من طريقين: التأكيد بـ(إنَّ)، وجَعْلِه واحدًا من جملة الصَّاغِرِينَ ترسيخًا للصفة فيه. وقوله تعالى: **(قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ)** [الأعراف: ١٥] أي: "من الطائفة التي تأخّرت أعمارها كثيرًا"[٨٩]، "وقد أفاد التأكيد بـ(إنَّ) والإخبار بصيغة (مِنَ الْمُنْظَرِينَ): أن إنظاره أمرٌ قد قضاه الله"[٩٠]. وقوله تعالى: **(إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ)** [القصص: ٣١] "وفيه زيادة تحقيق أمنه بما دل عليه التأكيدُ بـ(إنَّ) وجعله من جملة الآمنين، فإنه أشد في تحقيق الأمن من أن يقال: إنك آمن كما تقدم"[٩١]. وقوله تعالى: **(إِنَّهُمْ مِنَ الصَّالِحِينَ)** [الأنبياء: ٨٦]. وورد في الحديث: "وَإِنَّ هَذَا مِن الْجَاهِلِينَ"[٩٢]، أي: في جملتهم وطبقتهم.

---

[٨٥] الكامل في اللغة والأدب: ٨/٣.
[٨٦] ديوانه: ١١٦.
[٨٧] همع الهوامع: ١٨٩/٥.
[٨٨] الكشاف: ٨٦/٢.
[٨٩] البحر المحيط: ٢٧٥/٤.
[٩٠] التحرير والتنوير: ٣٥/٨.
[٩١] المرجع السابق: ٥٠/٢٠.
[٩٢] صحيح البخاري (٤٦٤٢) حسب ترقيم فتح الباري: ٧٦/٦.

كذلك تلحقه مع (إنَّ) (لام التوكيد)، كقوله تعالى: **(إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ)** [البقرة: ١٤٥] "وإيثار (مِنَ الظَّالِمِينَ) على (ظالم أو الظالم) لإفادته أنه مقرر محقق وأنه معدود في زمرتهم عريق فيهم"[٩٣]، فضلًا عن التوكيد بـ(إنَّ واللام). ونظيره قوله تعالى: **(وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)** [البقرة: ٢٥٢]، و**(إِنَّا إِذًا لَّمِنَ الْآثِمِينَ)** [المائدة: ١٠٦]، و**(وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)** [يوسف: ٥١] و**(إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ)** [النور: ٦] و**(إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ)** [النور: ٨] و**(وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ)** [الشعراء: ٤٢]. و**(وَإِنَّهُ لَمِنَ الْمُسْرِفِينَ)** [يونس: ٨٣]، و**(وَإِنَّ إِلْياسَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)** [الصافات: ١٢٣]، و**(وَإِنَّ لُوطاً لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ)** [الصافات: ١٣٣]. وقد تتصل بـ(إنَّ) (مَا) الكافة، كقوله تعالى: **(قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ)** [الشعراء: ١٨٥].

يَعرِض لجملة هذا النمط أن يتقدَّم (شبهُ جملة) على الجمع الوصفي، كما في قوله تعالى: **(وَأَنَا عَلَىٰ ذَٰلِكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ)** [الأنبياء: ٥٦] فـ(عَلى ذلِكُمْ): "متعلق بمحذوف تقديره: (وَأَنَا شاهدٌ عَلى ذلِكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ) أو على جهة البيان، أي: (أعني عَلى ذلِكُمْ)، أو باسم الفاعل وإن كان في صلة (أل) لاتساعهم في الظرف والمجرور"[٩٤].

تقدير الصفة المفردة (شاهد) عودٌ إلى أصل بناء التركيب، وقد نبَّه عليه النحاة فأجازوا "تعليق حرف جرٍّ قبل الألف واللام بمحذوف تدلّ عليه صلتها، كقوله تعالى: **(وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ)** [يوسف: ٢٠] و**(إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ الْقَالِينَ)** [الشُّعَرَاء: ١٦٨] و**(إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ)** [القصص: ٢٠] أي: كانوا زاهدين فيه من الزاهدين، وإني قالٍ لعملكم من القالين، وإني ناصحٌ لك من النَّاصحين"[٩٥].

على أنَّ تقديم شبه الجملة مما تُسَلِّم به حسن الذائقة، دون الالتفات إلى إشكال تقدُّم متعلق الصلة على الموصول، فذلك جائزٌ على تأويل (أل) معرفة لا موصولة أو على أنها الموصولة ولكن تُسُومح في شبه الجملة ما لا يتسامح في غيره اتساعًا فيها

[٩٣] روح المعاني: ٤١١/١.
[٩٤] البحر المحيط: ٣٠٠/٦، وينظر، روح المعاني: ٥٨/٩.
[٩٥] شرح التسهيل: ٢٣٧/١.

لدوَرانها في الكلام[٩٦] على نحو ما بيَّنَ السمين الحلبي في قوله تعالى: **(وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ)** [الأعراف: ٢١]. ومثل هذا الإشكال حاضرٌ في نظائر هذا التركيب كما في قوله تعالى: **(وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [آل عمران: ٨٥] وقوله تعالى: **(ثُمَّ هو يَوْمَ القِيامَةِ مِنَ المُحْضَرِينَ)** [القصص: ٦١] وقوله تعالى: **(وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ)** [البقرة : ١٣٠- النحل: ١٢٢].

جاء من هذا النمط في الحديث الشريف: "إِنْ صَلَّيْتَ الضُّحَى رَكْعَتَيْنِ لَمْ تُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ، وَإِنْ صَلَّيْتَ أَرْبَعًا كُنْتَ مِنَ الْعَابِدِينَ، وَإِنْ صَلَّيْتَ سِتًّا لَمْ يَلْحَقْكَ ذَنْبٌ، وَإِنْ صَلَّيْتَ ثَمَانِيًا كُتِبْتَ مِنَ الْقَانِتِينَ"[٩٧].

يُستعمل أيضًا هذا النمط التركيبي كثيرًا في العربية المعاصرة، فيُقال مثلا: (فلانٌ من علماء الأزهر الشريف)[٩٨] بمعاقبة (المضاف إليه) لـ(أل) شهادةً للموصوف بصدق العلم والرسوخ فيه بما هو معلومٌ عند المخاطَب من مكانة (الأزهر الشريف). والفرق بين مثل ذلك وتعبير القرآن عن الجمع بالوصف المقترن بـ(أل الجنسية[٩٩] أو العهدية[١٠٠]) أنَه- أي: التعبير القرآني- يَسْلك في الغالب سبيل التعبير الكنائي المحض لجماعة متخيلة عند المخَاطَبين يُسْلَكُ فيها الواحدُ، ليتحقق له رسوخ الوصف المشهود به لهذا الجمع الوصفي، إذ هو لا ينتسب إليهم ولا ينتظم في طبقتهم إلا أن تُعرَف عنه هذه الصفة ويشتهر بها من قبلُ، وفي انتسابه ذاك شهادة له بتحقُّق كمال الاتصاف.

[٩٦] ينظر، الدر المصون: ٢٧٩/٥.
[٩٧] مسند البزار: ٣٣٥/٩. في الحديث شاهد على (نمط النفي) و(نمط المسبوق بفعل الكينونة) وسيأتي معالجة هذين النمطين وبيان سماتهما الدلالية.
[٩٨] عبارة سَيَّارة في إذاعة القرآن الكريم، وفي البرامج الدينية المرئية.
[٩٩] التي يقصد بها (كمال الصفة).
[١٠٠] التي يقصد بها (شهرة الصفة)، لتصير معنى لقبيًّا على جماعة الموصوفين.

ب) (فعل ناسخ أو ناصب لمفعولين + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)

يتصدر جملة النمط هنا أحد الأفعال الآتية: (كان، قدَّر، أصبح، ظَنَّ، رأى، جَعَل، وجد)، فيكون الموصوف اسمًا للفعل الناسخ أو مفعولا به أوّل يتلوهما الجمع الوصفي مجرورًا بـ(مِن)، وفعل الكينونة هنا هو الأكثر حضورًا، على النحو الآتي:

١. ("كان" و"قدَّر" + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)

قوله تعالى: **(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)** [البقرة: ٣٤ – ص: ٧٤] وكان المتبادر أن يقال (وكَفر) جَرْيًا على نسق استعمال الفعل قبله (أَبَى وَاسْتَكْبَرَ)، "فعدل عن مقتضى الظاهر إلى (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) لدلالة (كان) في مثل هذا الاستعمال على رسوخ معنى الخبر في اسمها، والمعنى أبى واستكبر وكَفَرَ كفرًا عميقًا في نفسه"[١٠١].

كذا لم يُقَلْ (وكان كافرًا)، لأن "إثبات الوصف لموصوف بعنوانِ كونِ الموصوف واحدًا من جماعة تثْبِتُ لهم ذلك الوصفَ أدلّ على شدة تمكن الوصف منه مما لو أثبت له الوصف وحده بناء على أنَّ الواحدَ يزداد تمَسُّكًا بفعله إذا كان قد شاركه فيه جماعة، لأنه بمقدار ما يرى من كثرة المتلبسين بمثل فعله تبعد نفسه عن التردُّد في سداد عملها"[١٠٢].

ها هنا سؤال شغل المفسرين: هل يدل قوله تعالى (وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) على أنه وُجِدَ قبله جمعٌ من الكافرين حتى يصدق القول بأنه من الكافرين؟[١٠٣] ووجه الإشكال أنَّ إبليس أول الكافرين.

ثمة فريق من أهل التفسير أثبت ذلك فجعلوا (كان) على بابها، فذهبوا إلى أنّ المعنى "كان في علم الله تعالى من الكافرين أو كان من القوم الكافرين الذين كانوا في

[١٠١] التحرير والتنوير: ٤١٢/١.
[١٠٢] المرجع السابق: ٤١٢/١.
[١٠٣] ينظر، مفاتيح الغيب: ٤٤٨/٢، وروح المعاني: ٢٣٣/١، والتحرير والتنوير: ٤١٣/١.

الأرض قبل خلق آدم"[١٠٤]، والفريق الذي نفى ذلك جعل (كان) "بمعنى (صار) وهو مما أثبته بعض النحاة"[١٠٥].

ورأى أبو حيان- ورأيه أمثل القدامى طريقةً- "أنَّ قوله: (وَكانَ مِنَ الْكافِرِينَ) أريد به كفره ذلك الوقت، وإن لم يكن قبلَه كافرًا وعطَفَ على (اسْتَكْبَرَ) فقوَّى ذلك، لأنَّ الاستكبار عن السجود إنما حصل له وقت الأمر"[١٠٦].

وعليه فإنَّ ذلك الأسلوب "دليل كنائي واستعمال بلاغي جرى عليه نظم الآية وإن لم يكن يومئذ جمع من الكافرين بل كان إبليس وحيدًا في الكفر"[١٠٧]، إذ يقوم هذا التركيب ونظائره على خصوصيتين: دلالة (كان) على رسوخ معنى الخبر في اسمها، وإثبات الوصف لموصوف بعنوان أنه واحد من جماعةٍ موصوفينَ به[١٠٨]، ولا يلزم أو يُراد بهذه الجماعة الوجود المادي الحقيقي المعيَّن، بل هي جماعة متخيَّلة يتصورها المخاطَب بصفتها الراسخة فيها المشهورة بها، ليُنْظَم في سِلكها الموصوف تثبيتًا لهذه الصفة فيه.

قوله تعالى: **(كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ)** [لأعراف: ٨٣- العنكبوت: ٣٢، ٣٣] "(مِنَ الْغابِرِينَ): من الذين غَبرُوا في ديارهم، أى بَقوا فهلكوا. والتذكير لتغليب الذكور على الإناث. وكانت [أي: امرأة لوط] كافرة موالية لأهل سدوم"[١٠٩]، فسلَكَها القرآن في جملة الهالكين.

الفعل (كَانَتْ) ها هنا "مستعملٌ في معنى (تَكُون)، فعُبِّر بصيغة الماضي تشبيهًا للفعل المحقق وقوعه بالفعل الذي مضى مثل قوله (أَتَى أَمْرُ اللَّهِ) [النحل: ١]، ويجوز أن

---

[١٠٤] روح المعاني: ٢٣٣/١.
[١٠٥] المرجع السابق: ٢٣٣/١، وينظر، مفاتيح الغيب: ٤٢٨/٢. ومن مجيء (كان) في القرآن الكريم بمعنى (صار) قوله تعالى: (فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) [الصافات: ١٤١] "فصار من المغلوبين بالقرعة" [روح المعاني: ١٣٧/١٢].
[١٠٦] البحر المحيط: ٣٩٠/٦.
[١٠٧] التحرير والتنوير: ٤١٣/١.
[١٠٨] ينظر، المرجع السابق: ٤١٢/١، ٤١٣.
[١٠٩] الكشاف: ١١٩/١.

يكون مرادًا به الكون في علم الله وتقديره، كما في آية [النمل: ٥٧] (**قَدَّرْنَاها مِنَ الْغابِرِينَ**) فتكون صيغة الماضي حقيقة"[١١٠]، والمعنى: "قَدَّرْنَا كونها مِنَ الْغابِرِينَ"[١١١]، ومثلها على مزيد تأكيد بـ(إنَّ واللام) في قوله تعالى: (**إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا ۙ إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ**) [الحجر: ٦٠][١١٢] فرسوخ الصفة- كما نرى- يجيء من أكثر من طريق بحسب نظم النمط التركيبي.

قوله تعالى: (**فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ**) [الأعراف: ١٧٥] "والمراد بالغاوين: المتصفين بالغي وهو الضلال، (فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ): أشد مبالغة في الاتصاف بالغواية من أن يقال: وغَوَى أو كان غاويًا"[١١٣]، ودخول الفعل (كان) أفاد رسوخ معنى الخبر في اسمها.

قوله تعالى: (**آلآنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**) [يونس: ٩١] و(**إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ**) [القصص: ٤] قوله (مِنَ الْمُفْسِدِينَ) "دالٌّ على شدة تمكُّن الإفساد من خُلُقِه، ولفعل الكون إفادة تمكُّن خبر الفعل من اسمه"[١١٤]. ونظير ذلك قوله تعالى: (**وَكُنْتَ مِنَ الْكافِرِينَ**) [الزمر: ٥٩].

قوله تعالى: (**وَاغْفِرْ لِأَبِي إِنَّهُ كانَ مِنَ الضَّالِّينَ**) [الشُّعَرَاء: ٨٦] "أي: المشركين. و(كانَ) زائدة"[١١٥]، لإمكان الاستغناء في التركيب لا الدلالة، وهي على حالها هنا في إفادة رسوخ وصف الضلال في الموصوف.

قوله تعالى: (**إِنَّهُ كَانَ عَالِيًا مِّنَ الْمُسْرِفِينَ**) [الدخان: ٣١] "أي: كان عالي الدرجة في طبقة المسرفين"[١١٦]، وتعبير الرازي منتزع من قول الزمخشري: "أي: كبيرًا

---

[١١٠] التحرير والتنوير: ١٦٥/٢٠.
[١١١] الكشاف: ٣٧٩/٣، وينظر، روح المعاني: ٢١٤/١٠.
[١١٢] "(إنَّها لَمِنَ الْغابِرِينَ) في موضع مفعول، التقدير: قضينا أنها تتخلف وتبقى مع من يبقى حتى تهلك كما يهلكون" [مفاتيح الغيب: ١٥٤/١٩]، و"كسرت (إنَّ) ها هنا من أجل (اللام) في خبرها ولولا (اللام) لفتحت" [التبيان في إعراب القرآن: ٧٨٥/٢].
[١١٣] التحرير والتنوير: ٣٥٢/٨.
[١١٤] المرجع السابق: ١١/٢٠.
[١١٥] الجامع لأحكام القرآن: ١١٤/١٣.
[١١٦] مفاتيح الغيب: ٦٦١/٢٧.

رفيع الطبقة مِن بينهم، فائقًا لهم، بليغًا في إسرافه"[١١٧]. "وقوله: (رفيع الطبقة مِن بينهم) إشارة إلى أنَّ التركيب من باب قولهم: (فلانٌ من العلماء)، أي: له مساهمة فيهم"[١١٨].

وفي قوله تعالى: (**إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ**) [الأنبياء: ٨٧] "مبالغة في اعترافه بظلم نفسه، فأسند إليه فعل الكون الدال على رسوخ الوصف، وجَعل الخبر أنه واحد من فريق الظالمين، وهو أدل على أرسخيَّة الوصف"[١١٩]، وفيه ما فيه من هضم الذات تضرُّعًا.

قوله تعالى: (**وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ**) [التحريم: ١٢] "أي: من عِدَاد المواظبين على الطاعة، فـ(مِنْ) للتبعيض، والتذكير للتغليب، والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعة الرجال حتى عدت من جملتهم فهو أبلغ من قولنا: وكانت من القانتات أو قانتة"[١٢٠]، ففي هذا التركيب كمال صفة (القنوت) من جهتين: (أل التي للكمال) والتغليب، فضلا عن رسوخ الاتصاف فيها بـ(كانت). ونظير ذلك على جهة الضد قوله تعالى: (**إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ**) [يوسف: ٢٩] أي: "من جملة القوم المتعمدين للذنب"[١٢١]، "ولم يقل (من الخاطئات)، لأن الخاطئين أعمّ، لأنه ينطلق على الذكور والإناث بالتغليب"[١٢٢].

من شواهده أيضًا قوله تعالى: (**فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ**) [الصافات: ١٤١]. و(**فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقِينَ**) [هود: ٤٣]... وهو أصل كبير.

ولا يخلو هذا النمط من مزيد توكيد كما في قوله تعالى: (**وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ**) [الزمر: ٥٦] التحرير: (إنْ) "هي المخففة من الثقيلة و(اللام) هي الفارقة"[١٢٣]، "و(مِنَ السَّاخِرِينَ) أشد مبالغة في الدلالة على اتصافهم بالسخرية من أن

---

[١١٧] الكشاف: ٢٨٠/٤.
[١١٨] حاشية الطيبي على الكشاف: ٢١٥/١٤.
[١١٩] التحرير والتنوير: ٩٧/١٧.
[١٢٠] روح المعاني: ٣٥٩/١٤.
[١٢١] الكشاف: ٤٣٥/٢.
[١٢٢] البحر المحيط: ٢٩٨/٥، وينظر، الكشاف: ٤٣٥/٢، ٤٣٦، والجامع لأحكام القرآن: ١٧٥/٩.
[١٢٣] روح المعاني: ٢٧٣/١٢.

يقال: وإن كنتُ لساخرًا"[١٢٤]، لسبق اتصافه بصفة الاستهزاء التي جعلَته في زمرة (السَّاخِرِينَ)، كأنَّ السخريةَ منهج يتبعه.

كما جاء الموصوف مع (كان) الماضية جَمْعًا، كما في قوله تعالى: **(فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ)** [المؤمنون: ٤٨].

قد يجيء الجمع الوصفي بعد الفعل (كان) في صورة (الاسم الموصول الدال على الجمع وصلته)، كقوله تعالى: **(ثُمَّ كَانَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا)** [البلد: ١٧] "وقال (مِنْ الَّذِينَ آمَنُوا) دون أن يقول: (ثم كان مؤمنًا)، لأنَّ كونه من الذين آمنوا أدل على ثبوت الإيمان من الوصف بمؤمن، لأن صفة الجماعة أقوى من أجل كثرة الموصوفين بها فإن كثرة الخير خير"[١٢٥].

لم يقتصر هذا النمط التركيبي على استعمال (كان) الماضية، بل جاء منها المضارع ليدل على رسوخ اتصاف اسمها بخبرها في الاستقبال، كما في قوله تعالى: **(وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ)** [الأنعام: ٧٥]، "أي: من زمرة الراسخين في الإيقان البالغين درجة عين اليقين من معرفة الله تعالى"[١٢٦]، ومثله قوله تعالى: **(لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ)** [الشعراء: ١٩٤] وقوله تعالى: **(أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ)** [يوسف: ٨٥] وقوله تعالى: **(فَتَكُونَ مِنَ الْخاسِرِينَ)** [يونس: ٩٥] و**(أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)** [يونس: ١٠٤]، وقوله تعالى: **(وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)** [الأنعام: ٢٧]، كما جاء الموصوف مثنى مُدْخلا في جملة الجمع الوصفي في قوله تعالى: **(لِيَكُونَا مِنَ الأسْفَلِينَ)** [فصلت: ٢٩].

من هذا الباب قوله- ﷺ-: "لَا يَبْلُغُ الْعَبْدُ أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُتَّقِينَ حَتَّى يَدَعَ مَا لاَ بَأْسَ بِهِ حَذَرًا لِمَا بِهِ بَأْسٌ"[١٢٧]، قوله (مِنَ الْمُتَّقِينَ)، "من باب قوله تعالى: (إِنِّي لِعَمَلِكُمْ مِنَ

[١٢٤] التحرير والتنوير: ١١٧/٢٤.
[١٢٥] المرجع السابق: ٣١٩/٣٠.
[١٢٦] روح المعاني: ١٨٧/٤.
[١٢٧] سنن البيهقي الكبرى: ٣٣٥/٥.

الْقَالِينَ) [الشُّعَرَاء: ١٦٨] يعني ممن له مساهمة مع المتقين في هذه الصفة، وأنَّ الوصف كاللقب المشهود له"[١٢٨].

كذلك يَعرِض لجملة هذا النمط- كسابقه- أن يتقدَّم (شبهُ جملة) على الجمع الوصفي، كما في قوله تعالى: **(وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ)** [المائدة: ١١٣] وقوله تعالى: **(وَكَانُواْ فِيهِ مِنَ الزاهدين)** [يوسف: ٢٠] وشبهُ الجملة (عليها، وفيها) في كل ذلك إما متعلق بالوصف المحذوف والجمع الوصفي بعده في موضع الصفة، وإما متعلق بالخبر (مِنَ الشَّاهِدِينَ، ومِنَ الزاهدين) على التقديم والتأخير على نحو ما سبق بيانه.

وقد يصَرّح أيضًا في هذا النمط التركيبي بموصوف الجمع الوصفي، كقوله تعالى: **(إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ)** [النمل: ٤٣].

٢. (أصبح + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)

قوله تعالى: **(فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُ فَأَصْبَحَ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [المائدة: ٣٠] (مِنَ الْخَاسِرِينَ)، "أي: العريقين في صفة الخسران بغضب الله عليه لاجترائه على إفساده مصنوعَه، وغضب أبناء جنسه عليه لاجترائه على أحدهم"[١٢٩]، وَعُبِّر عن هذه العراقة بجَعْلِه في جملة النادمين ترسيخًا للصفة، وجيء بـ(أَصْبَحَ) للدلالة على أن الخسارة متحققة في جميع الأوقات[١٣٠] شاملة دنياه وآخرته[١٣١]، ومثله قوله تعالى: **(فَأَصْبَحْتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ)** [فصلت: ٢٣].

قوله تعالى: **(فَأَصْبَحَ مِنَ النَّادِمِينَ)** [المائدة: ٣١] معنى (مِنَ النَّادِمِينَ): "أصبح نادمًا أشدّ ندامة، لأنَّ (مِنَ النَّادِمِينَ) أدلّ على تمَكُّن الندامة من نفسه، من أن يقال (نادمًا)"[١٣٢].

---

[١٢٨] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢١٠٩.
[١٢٩] نظم الدرر: ٤٤٧/٢.
[١٣٠] ينظر، المرجع السابق: ٤٤٧/٢.
[١٣١] ينظر، روح المعاني: ٢٨٦/٣.
[١٣٢] التحرير والتنوير: ٨٦/٥.

٣. (ظَنّ + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)

قوله تعالى: **(وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)** [الأعراف: ٦٦] أراد قوم لوط أن يثبتوا دعواهم في تكذبيه، فساقوا قولهم على صيغة الجزم، إذ الظنّ هنا على معنى اليقين[١٣٣]، وغالوا في ادعائهم الكذب على لوط- عليه السلام- فجعلوه واحدًا من جمع الكاذبين، ليكون ذلك أدلّ على رسوخ الصفة فيه.

قوله تعالى: **(وَإِنِّي لَأَظُنُّهُ مِنَ الْكَاذِبِينَ)** [القصص: ٣٨] قوله: "(مِنَ الْكَاذِبِينَ) يدل على أنه [أي: فرعون] يعدّه من الطائفة الذين شأنهم الكذب"[١٣٤].

قوله تعالى: **(وَإِن نَّظُنُّكَ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ)** [الشعراء: ١٨٦] (إِنْ) "هي المخففة من الثقيلة و(اللام) في (لَمِنَ) هي الفارقة"[١٣٥]، وفي الآية مبالغة في تكذيب قوم شعيب- عليه السلام- له لشدة زجره لهم[١٣٦]، فأرادوا بقولهم هذا "أنَّه- عليه السلام وحاشاه- راسخ القدم في الكذب في دعواه الرسالة أو فيها وفي دعوى نزول العذاب"[١٣٧].

٤. (رأى + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)

قوله تعالى: **(إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)** [يوسف: ٣٦] وهو قولُ صاحبي النبي يوسف- عليه السلام- في السجن، وكانَا يعتقدان رسوخ يوسف- عليه السلام- في إحسان التأويل، فقالا (مِنَ الْمُحْسِنِينَ) أي: من "العريقينَ في وصف الإحسان لكل أمر تعاينه، فلذلك لاح لنا أنك تحسن التأويل قياسًا"[١٣٨]، إذ يتضمّن هذا النمط التركيبي سَبْق اتصاف الموصوف بالصفة قبل انتظامه في جملة الجمع الوصفي، وهو ما خبراه صاحِبا يوسف منه في السجن.

---

[١٣٣] المرجع السابق: ١٥٦/٨. وكذا فيما يأتي.
[١٣٤] المرجع السابق: ٥٩/٢٠.
[١٣٥] روح المعاني: ١١٧/١٠.
[١٣٦] ينظر، المرجع السابق: ١١٧/١٠.
[١٣٧] المرجع السابق: ١١٧/١٠.
[١٣٨] نظم الدرر: ٣٨/٤.

وقد ورد التركيب نفسه في سياق آخر في قوله تعالى: **(قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُ ۖ إِنَّا نَرَاكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)** [يوسف: ٧٨] هذا الخطاب الاستعطافيّ من إخوة يوسف- عليه السلام- يلائمه سوق الوصف بالإحسان على جهة الرسوخ في الصفة بانتظامه في سِلْك (الْمُحْسِنِينَ)، ليكون ذلك أحرى بإتمام إحسانه إليهم.

٥. (جعل + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)

قوله تعالى: **(وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ)** [الفرقان: ٣١] (العدو): يراد به هنا الجمع[١٣٩]. "ووصف أعداء الأنبياء بأنهم من المجرمين، أي: من جملة المجرمين، فإن الإجرام أعم من عداوة الأنبياء وهو أعظمها. وإنما أريد هنا تحقيق انضواء أعداء الأنبياء في زمرة المجرمين، لأن ذلك أبلغ في الوصف من أن يقال: عدوًّا مجرمًا"[١٤٠].

قوله تعالى: **(فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ)** [الشعراء: ٢١] لم يقل موسى- عليه السلام-: "(فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا ورسالة) أو (وجعلني رَسُولًا) إعظامًا لأمر الرسالة، وتنبيهًا لفرعون على أنَّ رسالته- عليه السلام- ليس أمرًا مُبتدعًا بل هو مما جرَت به سنة الله تعالى شأنه"[١٤١]، فسَلَك نفسه في زمرة الأنبياء دالًّا على رسوخ دعوتهم إلى التوحيد.

منه كذلك قوله تعالى: **(وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)** [يس: ٢٧] وقوله تعالى: **(فَاجْتَبَاهُ رَبُّهُ فَجَعَلَهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)** [القلم: ٥٠]، كما جاء من الفعل (جَعَل) اسم الفاعل في قوله تعالى: **(إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ)** [القصص: ٧].

[١٣٩] (العدو): "اسم يقع على المفرد والجمع" [التحرير والتنوير: ٤٣/١٩].
[١٤٠] التحرير والتنوير: ٤٣/١٩.
[١٤١] روح المعاني: ٦٩/١٠.

٦. (وجد + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)

قوله تعالى: **(سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)** [الصافات : ١٠٢] فيه من المبالغة في اتصاف إسماعيل "بالصبر ما ليس في الوصف بـ(صابر)، لأنه يفيد أنه سيجده في عِدَاد الذين اشتهروا بالصبر وعرفوا به"[١٤٢].

وفي قوله أيضًا (مِنَ الصَّابِرِينَ) دون (صابرًا) من التواضع وهضم الذات ما فيه[١٤٣] بخلاف قول موسى- عليه السلام- الذي "لم يسلك هذا المسلك من التواضع في قوله: **(سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا)** [الكهف: ٦٩] حيث لم ينظم نفسه الكريمة في سلك الصابرين بل أخرج الكلام على وجه لا يشعر بوجود صابر سواه"[١٤٤]، كما أنه كان محمولا "على التصبُّر إجابة لمقترح الخضر"[١٤٥]، لذا كان التوفيق من نصيب إسماعيل- عليه السلام- في هذا الموضع على الرغم من أنَّ كِلَا النبيينِ لم يغفل عن ذكر المشيئة (إِنْ شاءَ اللَّهُ)[١٤٦].

كذلك منه قوله تعالى: **(سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ)** [القصص: ٢٧] أي: من المشهود لهم بالصلاح الكاملين فيه.

٧. (عَدّ + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)

شاهده قوله تعالى على لسان الكفار في جهنم عن ضعاف المؤمنين لَمَّا كانوا في الدنيا: **(كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ)** [ص: ٦٢] أي: "من الأراذل الذين لا خير فيهم ولا جدوى، ولأنهم كانوا على خلاف دينهم، فكانوا عندهم أشرارًا"[١٤٧]، فَسَلك الكفارُ ضعافَ

---

[١٤٢] التحرير والتنوير: ٦٥/٢٣. وجاء في [نظم الدرر: ٣٢٨/٦]: "(مِنَ الصَّابِرِينَ)، أي: العريقين في الصبر، البالغين فيه حد النهاية".
[١٤٣] ينظر، روح المعاني: ١٢٤/١٢.
[١٤٤] المرجع السابق: ١٢٤/١٢.
[١٤٥] التحرير والتنوير: ٦٥/٢٣.
[١٤٦] ينظر، روح المعاني: ١٢٤/١٢.
[١٤٧] الكشاف: ١٠٤/٤.

المؤمنين في الدنيا في طبقة الأشرار ترسيخًا لصفة الشر فيهم، وهو ادّعاؤهم عليهم آنذاك على جهة التشويه.

ويُنظم في عموم هذا الضرب المثبت ما يتولَّد على الألسنة موافقًا لطبع العربية، نحو: (أنت من الطيبين) و(أرجو أن تكون ممن يتقبلون النصح ويعملون به)، و(إنك من أهل الفضل)... وغير ذلك.

ثانيًا: جملة النمط المنفية.

تجيء جملة النمط المنفية على ضربين: اسمية مسبوقة بأداة النفي (ما)، أو اسمية منسوخة بـ(كَوْن) منفي، كما يأتي:

أ) (ما النافية + الموصوف + مِنْ + الجمع الوصفي)

قوله تعالى: **(قُل لَّا أَتَّبِعُ أَهْوَاءَكُمْ ۙ قَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ)** [الأنعام: ٥٦] قال: "(مِنَ الْمُهْتَدِينَ) ولم يقل: وما أنا مهتَدٍ، لأنَّ المقصود نفي الجملة التي خبرها (مِنَ الْمُهْتَدِينَ)، فإن التعريف في (الْمُهْتَدِينَ) تعريف الجنس، فإخبار المتكلم عن نفسه بأنه من المهتدين يفيد أنه واحد من الفئة التي تعرف عند الناس بفئة المهتدين"[١٤٨]، وأراد بالنفي التعريض بهم[١٤٩]، "كأنه قيل: إنْ اتبعتُ أهواءكم قد ضللتُ إذن، وكنت مثلكم متوغلًا في الضلال منغمسًا فيه، ولا أكون من الهدى في شيءٍ[١٥٠] كما أنتم عليه، وفيه أني من زمرة المهتدين، ولي مساهمةٌ معروفة في الهداية. ومن ثم أتبعه بقوله: (إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ) أي: بَيِّنَة لا يقدر قدرها"[١٥١].

يرى بعض أهل التفسير أنّ ثمة إشكالًا في مدى حظّ الموصوف من الصفة في جملة النمط المنفية، إذ إنَّ هذا الأسلوب في الإثبات يوجب أن يكون المدخول[١٥٢] ممن له

---

[١٤٨] التحرير والتنوير: ١٢٩/٦.
[١٤٩] ينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ١١٠/٦، ومفاتيح الغيب: ٨/١٣، وروح المعاني: ١٦٠/٤/٣.
[١٥٠] هي عبارة الزمخشري في [الكشاف: ٢٩/٢] ونصها: "وما أنا من الهدى في شيء".
[١٥١] حاشية الطيبي على الكشاف: ١١٠/٦، وأوجز الرازي التعريض قائلًا: "كأنه يقول لهم: أنتم كذلك" [مفاتيح الغيب: ٨/١٣].
[١٥٢] أي: الموصوف.

حظوظ وافية من ذلك الوصف[١٥٣]، "وفي السَّلْب يوجب أن يكون المدخول ممن له حظّ ما فيه"[١٥٤]، وهذا مما يقدح في أبلغية النفي وقوة سلب الصفة عن الموصوف.

ووجه الكلام أنَّ أبلغيَّة هذا النمط في النفي كَأَبْلَغِيَّتِهِ في الإثبات، لأن الكلام "بطريق التكنية فهي ملازمة للفظ إثباتًا ونفيًا"[١٥٥] وكونه قد أثبت لنفسه الهداية في قوله: (إِنِّي عَلَى بَيِّنَةٍ)، فذا يعني أن الكلام "مِنْ قَبِيلِ تَأْكِيدِ النَّفْيِ"[١٥٦]، إذ هو استئصال لأصل المعنى لا مجرد نفي المبالغة في الصفة، ومما يقوي ذلك أنَّ في جملة (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ) مزيدَ تأكيد بالعدول إلى الاسمية عن الفعلية بحكم بناء صدر الآية على الفعل، "للدلالة على الدوام والاستمرار، أي: دوام النفي واستمراره"[١٥٧]، فضلا عن إفادتها تأكيد مضمون جملة (قَدْ ضَلَلْتُ) قبلها[١٥٨].

قوله تعالى: **(قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)** [ص: ٨٦] أي: "من الذين يتصنَّعون ويتحلَّون بما ليسوا من أهله"[١٥٩]، "وتركيب (مَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) أشد في نفي التكلف من أن يقول: ما أنا بمتكلف"[١٦٠]، لأنه نفى عن نفسه أن يكون من أهل هذا الوصف في شيء، و"مفارقة المرء فئته بعد أن كان منها أشد عليه من اتصافه بما يخالف صفاتهم قبل الاتصال بهم"[١٦١]، كما لا تخلو طريقة النفي تلك من التعريض بهذه الفئة، ويتحقق التعريض في جملة النفي وشِبْهه عامَّةً إذا كانت جماعة الموصوفين ممن يُتنزَّه عن الانتساب إليها أو الاتصال بها.

---

[١٥٣] ينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ١١٠/٦.
[١٥٤] المرجع السابق: ١١٠/٦.
[١٥٥] التحرير والتنوير: ١٣١/٦.
[١٥٦] المرجع السابق: ١٣٠/٦.
[١٥٧] ينظر، روح المعاني: ١٦٠/٤.
[١٥٨] ينظر، البحر المحيط: ١٤٥/٤، والتحرير والتنوير: ١٣٠/٦. وَتَأْكِيدُ الشَّيْءِ بِنَفْيِ ضِدِّهِ- كما ينبّه الطاهر- طَرِيقَةٌ عَرَبِيَّةٌ لها نظائر، كقوله تَعَالَى: (وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُ وَما هَدَى) [طه: ٧٩]. وهذا الباب أصله لابن جني على نحو ما نبَّه أهل التفسير والبيان جاء في [التحرير والتنوير: ١٣٠/٦]: "وقال الخفاجي: إن أصل هذا لابن جني".
[١٥٩] الكشاف: ١١٠/٤، وينظر، البحر المحيط: ٣٩٣/٦.
[١٦٠] التحرير والتنوير: ١٩٦/٢٣.
[١٦١] المرجع السابق: ١٣٠/٦.

ب) (أداة النفي + فعل الكون + الموصوف + مِنْ + الجمع الوصفي)

يأتي الكون المنفي في جملة هذا النمط دالا على المضي في صورتين:

١. **(ما + فعل الكون الماضي)**، ومن شواهدها:

قوله تعالى عن إبراهيم- عليه السلام-: **(وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** [البقرة: ١٣٥- آل عمران: ٦٧، ٩٥- الأنعام: ١٦١][١٦٢]، فلم يقلْ (مشركًا)، تأكيدًا على رسوخ الاتصاف بعدم الاتصال بأهل الشرك على أي وجه، فهو من أبلغيَّة تأكيد استغراق النفي، فضلا عَمَّا فيه من تعريض بهذه الزمرة.

قوله تعالى: **(وَمَا كُنتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ)** [القصص: ٤٤] أي: من جملة الحاضرين للوحي إلى موسى- عليه السلام- أو الشاهدين على الوحي إليه، وهم السبعون المختارون للميقات[١٦٣]، والتركيب على تشديد النفي.

٢. (ما + فعل الإرادة المضارع + أنْ + فعل الكون المضارع):

قد تباشر أداة النفي (ما) فعل الإرادة المضارع متلوًّا بـ(أنْ + مضارع الكون) الداخل في حيّز النفي، كقوله تعالى: **(وَمَا تُرِيدُ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْمُصْلِحِينَ)** [القصص: ١٩] فَنَفَى القِبطيّ عن موسى- عليه السلام- إرادة الإصلاح، واشتدّ في نفيه بأن أخرجه "(مِن الْمُصْلِحِينَ)، أي: العريقين في الصلاح، فإنَّ المصلح بين الناس لا يصل إلى القتل على هذه الصورة"[١٦٤].

٣. **(لَمْ + فعل الكون المضارع)**، ومن شواهدها:

قوله تعالى: **(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ)** [الأعراف: ١١] "إشارة إلى أنه لم يقدَّر له أن يكون من طائفة الساجدين، أي: انتفى سجوده انتفاء لا رجاء في حصوله بعد"[١٦٥]، لانقطاع صلته بطائفة الساجدين، تشديدًا في النفي.

---

[١٦٢] الآيات الكريمة على الترتيب: (وَلَٰكِن كَانَ حَنِيفًا مُّسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [آل عمران: ٦٧] و(فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْراهِيمَ حَنِيفاً وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [آل عمران: ٩٥] و(دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) [الأنعام: ١٦١].

[١٦٣] ينظر، روح المعاني: ٢٩٣/١٠.

[١٦٤] نظم الدرر: ٤٧٤/٥.

[١٦٥] التحرير والتنوير: ٣١/٨.

قوله تعالى: **(إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** [النحل: ١٢٠] في قوله (وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) إعلامٌ "بأن الفعل منفي عنه عليه السلام على أبلغ وجوه النفي لا ينسب إليه شيء منه"[١٦٦]، فكان راسخًا في اتصاف التنزيه عن جملة أهل الشِّرْك، مع التعريض بهم على عادة القصد في هذا النمط التركيبي المنفي.

قوله تعالى: **(قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ)** [المدثر: ٤٣] هذا جواب أهل الضلال على قوله تعالى: **(مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ)** [المدثر: ٤٣] فجاء جوابهم دليلا "على أنه لم يكن لهم نوع طبع جيد يحثهم على الكون في عِدَاد الصالحين"[١٦٧]، وكان نفيهم (لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ) "تنبيهًا على أن رسوخ القدم في الصلاة مانع من مثل حالهم"[١٦٨]، فلم يكونوا قط من أهل الصلاح.

يدخل في هذا الباب فعل التنزه في قوله تعالى: **(قَالَ أَعُوذُ بِاللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)** [البَقَرَة: ٦٧] فـ"الْعِيَاذ بِاللَّهِ أَبْلَغُ كَلماتِ النَّفي"[١٦٩] تبروًا من المزح بنفي ملزومه[١٧٠]، ذلك "أن الاشتغال بالاستهزاء لا يكون إلا بسبب الجهل، ومنصب النبوة لا يحتمل الإقدام على الاستهزاء"[١٧١]. وقوله: (مِنَ الْجَاهِلِينَ) فيه تصريح أن ثَمَّ جاهلين، واستعاذته بالله أن يكون منهم فيه تعريض بهم[١٧٢]، فهو "أَبْلَغُ من قولِك: (أن أكونَ جاهِلًا)، فإنَّ المعنى: أن أنتظمَ في سِلكِ قَوْمٍ اتَّصفُوا بالجهل"[١٧٣]، كما أنَّ هذا النمط "أبلغ في انتفاء الجهالة"[١٧٤] من الأصل المعدول عنه.

---

[١٦٦] نظم الدرر: ٣٢١/٤.
[١٦٧] روح المعاني: ٢٣٧/٨.
[١٦٨] المرجع السابق: ٢٣٧/٨.
[١٦٩] التحرير والتنوير: ٥٣٠/١.
[١٧٠] ينظر، التحرير والتنوير: ٥٣٠/١.
[١٧١] مفاتيح الغيب: ٥٤٦/٣، وينظر، الجامع لأحكام القرآن: ٥٤٦/٣.
[١٧٢] ينظر، البحر المحيط: ٤١٥/١.
[١٧٣] الدر المصون: ٤١٩/١.
[١٧٤] التحرير والتنوير: ٥٣٠/١.

النوع الثاني: صورة الإنشاء، وهو نمطان:

أولا: جملة النمط الإنشائية الطلبية.

يعتمد هذا النمط- في أغلب أشكاله الإنشائية- على وجود فعل الكَون في الأمر والنهي والاستفهام[١٧٥] والتمني، كما يأتي:

١. (فعل الكون الأمري + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)

قوله تعالى: **(فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)** [الأعراف: ١٤٤] "أي: معدودًا في عِدَادهم بأن يكون لك مساهمة كاملة فيهم، وحاصله كن بليغ الشكر فإن ما أنعمت به عليك من أجلّ النعم"[١٧٦]، وقولك: (كُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ) أبلغ في الأمر من قولك: (اشكرْ)، لدلالة الكون على دوام الشكر في كل الأوقات[١٧٧]، وكذا على رسوخ معنى الخبر في اسمها، فضلا عن عراقة انتظام الموصوف في جملة الموصوفين، وهو أصل بناء هذا النمط التركيبي.

ومثله قوله تعالى: **(فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ)** [الحجر: ٩٨] "والإخبار عن (وَكُنْ) بقوله: (مِنَ الشَّاكِرِينَ) أبلغ من أن يقال (كن شاكرًا)"[١٧٨]، وكذا دلالة (كن) على الدوام وأرسخية الوصف كما تقدم.

لم يخلُ الاستعمال المعاصر من نحو هذا النمط غير مقتصر على فِعل الكون الأمري، ومن ذلك ما يقال في الدعاء على ألسنة الخطباء: (اللهم اجعلنا مِمَّنْ يستمعونَ القول فيتبعون أحسنه)[١٧٩]، أي: من جملة الذين يتبعون أحسن القول.

٢. (لا الناهية + فعل الكون المضارع + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي).

قوله تعالى: **(فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الجاهلين)** [الأنعام: ٣٥] "أي: من الذين اشتد حزنهم وتحسروا حتى أخرجهم ذلك إلى الجزع الشديد، وإلى ما لا يحلّ، أي: لا تحزنْ

---

[١٧٥] قد يتخلف- على ندرة- فعل الكون في جملة الاستفهام، كما في قوله تعالى: (قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ) [الأنبياء: ٥٥].

[١٧٦] روح المعاني: ٥٤/٥، وينظر، التحرير والتنوير: ٢٧٨/٨.

[١٧٧] نبه على ذلك علماء اللغة من أهل التفسير في نمط النهي من هذا التركيب، وسيأتي تفصيل القول فيه.

[١٧٨] التحرير والتنوير: ٢٧٨/٨.

[١٧٩] وهو مأخوذ من قوله تعالى: (فَبَشِّرْ عِبَادِ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ) [الزمر: ١٧، ١٨].

على كفرهم فتُقارب حالَ الجاهلين"[١٨٠]."والنهي عن كونه منهم أبلغ من النهي عن نفس الفعل، فقولك: (لَا تكنْ ظالمًا) أبلغ من قولك: (لا تظلم)، لأنَّ (لا تظلم) نهي عن الالتباس بالظلم. وقولك: (لا تكن ظالمًا) نهي عن الكون بهذه الصفة"[١٨١]، والنهي عن الكون يدلّ نصًّا على عموم الأوقات المستقبلة[١٨٢]، "فلا يمر بك وقت يؤخذ منك فيه ظلم"[١٨٣].

ومثله قوله تعالى: **(فَلا تَكُونَنَّ مِنَ المُمْتَرِينَ)** [البقرة: ١٤٧ - آل عمران: ٦٠ – الأنعام: ١١٤ – يونس: ٩٤] "فالمراد بهذا الخطاب في المعنى هو الأمّة. ودلّ (المُمْتَرِينَ) على وجودهم، ونهى أن يكون منهم"[١٨٤] في أي وقت من أوقاته، فضلا عن التعريض بمن اتصفوا بهذه الصفة، فالخطاب من باب التهييج والإلهاب، كقوله: **(وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** [القصص: ٨٧][١٨٥]، ولو أَفْرَدَ الوصفَ فقال: (ممتريًا أو مشركًا) لاحتمل أن يكون الخطاب توبيخًا لعين المخاطَب، وهو غير مقصود تنزيهًا لمقام النبوة.

قوله تعالى: **(وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ)** [الأعراف: ٢٠٥] تحذير من الغفلة عن ذكر الله[١٨٦]، وهو "أشد في الانتفاء وفي النهي من نحو: ولا تغفل، لأنه يفرض جماعة يحق عليهم وصف الغافلين، فيحذر من أن يكون في زمرتهم، وذلك أبين للحالة المنهي عنها"[١٨٧]. وكذا قوله تعالى: **(فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَانِطِينَ)** [الحجر: ٥٥].

قد يأتي الجمع الوصفي في جملة هذا النمط في صورة (الاسم الموصول الدال على الجمع وصلته)، كقوله تعالى: **(وَلا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآياتِ اللَّهِ)** [يونس: ٩٥].

ويحمل على هذا الباب ما دلّ على النهي ضمنًا، كما في قوله تعالى: **(إِنِّي أَعِظُكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ)** [هود: ٤٧]، إذ المراد النهي عن وقوع مثل هذا السؤال من نوح-

---

[١٨٠] الجامع لأحكام القرآن: ٤١٨/٦.
[١٨١] البحر المحيط: ٦١٠/١، وينظر، الدر المصون: ١٧١/٢.
[١٨٢] ينظر، الدر المصون: ١٧١/٢، والبحر المحيط: ٦١٠/١.
[١٨٣] ينظر، المرجع السابق: ١٧١/٢، والبحر المحيط: ٦١٠/١.
[١٨٤] البحر المحيط: ٦١٠/١.
[١٨٥] مفاتيح الغيب: ١٢٤/١٣.
[١٨٦] ينظر، التحرير والتنوير: ٤١٣/٨.
[١٨٧] المرجع السابق: ٤١٣/٨.

عليه السلام-[188] في المستقبل لئلا يكون ممن وصفهم الله بالجاهلين[189]، وهو تنزيه له أن يسأل ما ليس له به عِلم، وفيه تعريضٌ بهذه الفئة الموصوفة بالجهالة.

٣. (همزة الاستفهام + فعل الكون + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)

تتبع الطيبي تدرُّج بناء خطاب الاستفهام في هذا النمط التركيبي كشفًا عن الغرض الدلالي فيه، وذلك في قوله تعالى مخاطبًا إبليس: (**أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ الْعَالِينَ**) [ص: ٧٥] فنبَّه على أنَّ أصل التركيب وفقًا لصدر بناء الاستفهام: (أستكبرتَ أم علوتَ؟)، ولو أريد مزيد الإنكار عليه، لقيل: (أستكبرتَ أم كنتَ الذي علوتَ؟) إخبارًا بالاسم الموصول وصلته، نحو: (أنت الذي يفعل)[190]، فلمَّا أريد مزيد "التوبيخ جَمَعَه وأدخلَه في زمرة العالِين، وقال: (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) فوضع (مِنَ الْعَالِينَ) موضع (الذي علوتَ)"[191]، إشارة إلى أنَّ "الوصف كاللقب المشهود له"[192].

وفي الاستفهام "تقرير وتوبيخ"[193]، أي: "أستكبرتَ الآن أم كنتَ أبدًا من المتكبرين العالين؟"[194] ولذا نبَّه أبو حيان على أنّ في العدول إلى تركيب (مِنَ الْعَالِينَ) ترجيحًا أنه لم يزل من المتكبرين[195]، ذلك أنَّ استعمال فعل الكون الماضي دالٌّ على أنه كان أبدًا من (المتكبرين العالينَ)[196]، العريقين في وصف الظلم بما له من الجبلة الراسخة

[188] هو سؤال نوح- عليه السلام- الله أن ينجي ابنه في قوله تعالى: (وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ) [هود: ٤٥].
[189] ينظر، الكشاف (الحاشية): ٣٧٨/٢.
[190] ينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ٣٢٥/١٣.
[191] المرجع السابق: ٣٢٥/١٣.
[192] المرجع السابق: ٣٢٥/١٣.
[193] الجامع لأحكام القرآن: ٢٢٩/١٥.
[194] ينظر، مفاتيح الغيب: ٤١٣/٢٦.
[195] ينظر، البحر المحيط: ٣٩٢/٦.
[196] ينظر، مفاتيح الغيب: ٤١٣/٢٦، وروح المعاني: ٢١٧/١٢.

في العلوّ[١٩٧]، فلم يكن استكباره وعلوّه في لحظة الأمر بالسجود لآدم فقط، "ولذا قيل: (كُنْتَ مِنَ الْعالِينَ) دون (أنت مِن العالينَ)"[١٩٨].

ومن هذا الباب قوله تعالى: **(قالُوا سَواءٌ عَلَيْنا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْواعِظِينَ)** [الشُّعَرَاء: ١٣٦] كان المتبادر للساننا أن يقال: (أَوَعَظْتَ أو لم تعظ)، تناسبًا بين الفعلين واختصارًا[١٩٩]، فعُدِلَ عن ذلك، "لأنّ المراد: سواء علينا أفعلتَ هذا الفعل الذي هو الوعظ، أم لم تكن أصلًا من أهله ومُباشريه، فهو أبلغ في قلة اعتدادهم بوعظه، من قولك: أم لم تعظ"[٢٠٠].

قوله تعالى: **(مَا لِيَ لَا أَرَى الْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ)** [النمل: ٢٠] في قوله (أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) ترجيحٌ لكونه في جملة الغائبين، لرسوخ اتصاف الاسم بمعنى الخبر في نحو هذا النمط.

قوله تعالى: **(أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)** [النمل: ٢٧] في الآية الكريمة معادلة "بين الجملتين بـ(أم)، ولم يكن التركيب (أم كذبتَ)، لأن قوله: (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكاذِبِينَ) أبلغ في نسبة الكذب إليه، لأنَّ كونَه من الكاذبين يدل على أنه معروف بالكذب، سابق له هذا الوصف قبل الإخبار بما أخبر به"[٢٠١]، وإقحام (كُنْتَ) أدخل في نسبته إلى الكذب ورسوخه فيه[٢٠٢].

واجتراؤه على تلفيق هذه الأقاويل "من غير أن يكون لها مصداق أصلا لا سيما بين يدي نبي عظيم تخشى سطوته لا يكاد يصدر إلا عمن رسخت قدمه في الكذب والإفك، وصار سجية له حتى لا يملك نفسه عنه في أي موطن كان"[٢٠٣].

---

[١٩٧] ينظر، نظم الدرر: ٤٠٥/٦.
[١٩٨] روح المعاني: ٢١٧/١٢.
[١٩٩] ينظر، الكشاف: ٣٣١/٣.
[٢٠٠] المرجع السابق: ٣٣١/٣، وينظر، التحرير والتنوير: ١٧٨/١٩.
[٢٠١] ينظر، البحر المحيط: ٦٨/٧.
[٢٠٢] ينظر، التحرير والتنوير: ٢٥٢/١٩.
[٢٠٣] روح المعاني: ١٨٨/١٠.

وفيه كذلك مجيء الجمع الوصفي في صورة (الاسم الموصول الدالّ على الجمع وصلته) في قوله تعالى: **(نَنْظُرْ أَتَهْتَدِي أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لا يَهْتَدُونَ)** [النمل: ٤١] وكان مقتضى الظاهر أن يقال: (أَتَهْتَدِي أم لا تهتدي)، والسبب في العدول إلى جعلها من جملة (الذِينَ لا يَهْتَدُونَ)، أنّ بلقيس "إذا رأت آية تنكير عرشها ولم تهتَدِ كانت راسخة في الاتصاف بعدم الاهتداء"[٢٠٤]، وفي جملة الصلة الاحتفاظ بالفعل لما فيه من معنى تجدد الحدث الدال على إعادة النظر والتأمل في العرش.

قد يخلو تركيب الاستفهام- على قلة- من فعل الكون، كما في قوله تعالى: **(قَالُوٓاْ أَجِئْتَنَا بِٱلْحَقِّ أَمْ أَنتَ مِنَ ٱللَّٰعِبِينَ)** [الأنبياء: ٥٥] فعُدِلَ "عن الإخبار عنه بوصف (لاعب) إلى الإخبار بأنه من زمرة اللاعبين مبالغةً في توغل كلامه ذلك في باب المزح بحيث يكون قائله متمكنًا في اللعب ومعدودًا من الفريق الموصوف باللعب"[٢٠٥]، فهذا قَطْعٌ بأنه لاعبٌ وليس على حقّ ألبتة[٢٠٦]. وخلا التركيب من فعل الكَوْن الماضي إذ لم يُعْهَد عليه العبث في الزمن الفائت.

وظاهرٌ أنَّ جملة النمط الواقعة بعد (أم) في أسلوب الاستفهام هي المقصودة، وعليها الترجيح والتعويل في قصد المتكلم.

٤. (لو الدالة على التمني + فعل الكون + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)

يجيء هذا التركيب متصدِّرًا بـ(لو) الدالة على التمني متبوعة بجملة النمط، كقوله تعالى: **(فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً فَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ)** [سورة الشعراء: ١٠٢] أرادوا بقولهم (مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) أن يسلكوا أنفسهم في زمرة المؤمنين، وجاءوا بفعل الكَون لتحقيق أرسخية معنى الخبر في الموصوف، ومنه كذلك قوله تعالى: **(لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ)** [الزمر: ٥٨] على جهة التمني.

---

[٢٠٤] التحرير والتنوير: ٤١٣/١.
[٢٠٥] المرجع السابق: ٢٧٨/٨.
[٢٠٦] ينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ٣٦٤/١٠، ٣٦٥.

ثانيًا: جملة النمط الإنشائية غير الطلبية.

يعتمد هذا النمط- في أغلب صوره- على وجود فعل الكَون في القسم والشرط والرجاء، كما يأتي:

١. **جملة النمط القَسَمِيَّة: (لام القسم + الفعل المؤكد بالنون + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)**

قوله تعالى: (**لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ**) [الشعراء: ٢٩] هذا التركيب يستدعي سؤالا: "ألم يكن (لأسجننّك) أخصر من (لَأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ) ومؤدّيا مؤدّاه؟"[٢٠٧] والجواب: "أما أخصر فنعم، وأما مؤدّيا مؤدّاه فلا، لأن معناه: لأجعلنَّك واحدًا ممن عرفت حالهم في سجوني. وكان من عادته أن يأخذ من يريد سجنه فيطرحه في هوّة ذاهبة في الأرض بعيدة العمق فردًا، لا يبصر فيها ولا يسمع، فكان ذلك أشد من القتل"[٢٠٨]، فَسَلَكَ بقوله (لَأَجْعَلَنَّكَ) طريقة الإطناب، لأنه أنسب بمقام التهديد، وقد تقدم أن مثل هذا التركيب يفيد تمكن الخبر من المخبر عنه[٢٠٩].

ومنه في الحديث الشريف: "لَيَنْتَهِيَنَّ أَقْوَامٌ عَنْ وَدْعِهِمُ الْجُمُعَاتِ أَوْ لَيَخْتِمَنَّ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ ثُمَّ لَيَكُونُنَّ مِنَ الْغَافِلِينَ"[٢١٠]، أي: يكونون في زمرة المشهورين بالغفلة الراسخين فيها.

٢. **جملة النمط الشرطية = (فعل الكون + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)**

أكثر مجيء جملة النمط في التركيب الشرطي أن تكون (جواب شرط)، كما في قوله تعالى: (**وَإِلَّا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكُنْ مِنَ الْخَاسِرِينَ**) [هود: ٤٧] إذ يترتب على عدم المغفرة والرحمة الانغماس في زمرة الخاسرين، وهذا أشد الخسران. ونظير ذلك قوله تعالى: (**فَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لَكُنتُم مِّنَ الْخَاسِرِينَ**) [البقرة: ٦٤]. وقوله تعالى:

---

[٢٠٧] الكشاف: ٣١٤/٣، وينظر، البحر المحيط: ١٤/٧.
[٢٠٨] المرجع السابق: ٣١٤/٣، وينظر، البحر المحيط: ١٤/٧.
[٢٠٩] ينظر، التحرير والتنوير: ١٣٥/١٩.
[٢١٠] صحيح مسلم: ٥٩١/٢.

(**وإلّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وأَكُنْ مِنَ الجاهِلِينَ**) [يوسف: ٣٣] وقوله تعالى: (**رَبِّ لَوْلا أَخَّرْتَنِي إلى أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وأَكُنْ مِنَ الصّالِحِينَ**) [المنافقون: ١٠] فقد أراد العاصي أن يُثبت بكل وجه صلاحه حال التأخير فَسَلَك نفسه في جملة الصالحين.

وقوله تعالى: (**أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ**) [الزمر: ٥٧] وفي الشرط بـ(لَوْ) معنى التمني والنفي معًا[٢١١]، ودليل النفي قوله تعالى ردًّا لكلامهم: (**بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي**) [الزمر: ٥٩] و(بلى) جواب النفي[٢١٢]، فأُخرِجوا بذلك من زمرة المتقين، وإفادة (كان) تُمَكِّنُ معنى الخبر في الموصوف بَجْعَلِ دلالة النفي أبلغ كما سبق بيانه.

قد تأتي جملة النمط المذكورة في جملة الشرط، كما في قوله تعالى: (**إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ**) [النور: ٧) و(**إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ**) [النور: ٩] و(**قَالَ فَأْتِ بِهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**) [الشعراء: ٣١- ١٥٤- ١٨٧] وقوله تعالى: (**ائْتِنا بِعَذابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ**) [العنكبوت : ٢٩] وقوله تعالى: (**فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِنْ كُنتَ مِنْ الصَّادِقِينَ**) [هود: ٣٢- الأحقاف: ٢٢] تشكيكًا في أن يكون من جملة الصادقين، وهو أبلغ في نفي الصفة عنه.

كذلك منه قوله تعالى: (**فَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ**) [الواقعة: ٨٨] أي: في جملتهم، وقوله تعالى: (**وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ**) [الواقعة: ٩٠] و"المراد من (أصحاب اليمين) هم الناجون الذين أذنبوا وأسرفوا وعفا الله عنهم بسبب أدنى حسنة"[٢١٣]، للدلالة على الانتظام في سلك الناجين. وقوله تعالى: (**وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ**) [الواقعة: ٩٢].

٣. **جملة النمط في تركيب الشرط والقسم المتداخلين = (لام القسم + فعل الكون المضارع المؤكد بالنون + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)**

[٢١١] ينظر، التحرير والتنوير: ١١٨/٢٤. وتأسيس الكلام على الشرط يقتضيه اللفظ، لاقتران جوابه باللام، وهذا لا ينفي عنها رائحة التمني والنفي.
[٢١٢] ينظر، مفاتيح الغيب: ٤٦٧/٢٧، والجامع لأحكام القرآن: ٢٧٣/١٥، والتحرير والتنوير: ١١٨/٢٤.
[٢١٣] ينظر، المرجع السابق: ٢٩/ ٤٠٨.

يقرر النحاة أنه إذا ولِيَ أداةَ شرطٍ غيرِ امتناعيّ قسَمٌ، استُغْنِيَ بجملة جواب القسم عن جواب الأداة[٢١٤]، وفي هذا التركيب المتداخل يتحقق في القَسَم جملةُ النمط مسبوقة بفعل (الكَون) المضارع مؤكدًا بالنون، لمزيد تأكيد في أرسخيَّة معنى الخبر في الاسم الموصوف، كقوله تعالى: **(قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [الأعراف: ٢٣] مجيء خبر كان فيها مقترنًا بـ(مِن) التبعيضية أقوى في إثبات الخسارة من (لَنَكُونَنَّ الخَاسِرِينَ)[٢١٥]، لانغماسهم في زمرة الخاسرين، وكذا قوله تعالى: **(لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ)** [الزمر: ٦٥]

قوله تعالى: **(لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا نُوحُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمَرْجُومِينَ)** [الشعراء: ١١٦] (مِنَ الْمَرْجُومِينَ): "من بين الذين يعاقبون بالرَّجْم، أي: من فئة الدُّعَّار الذين يستحقون الرجم"[٢١٦].

قوله تعالى: **(لَئِنْ لَمْ تَنْتَهِ يَا لُوطُ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْمُخْرَجِينَ)** [الشعراء: ١٦٧] "أي: من المنفيين من قريتنا المعهودين، وكأنهم كانوا يُخرجون مَن غضبوا عليه بسبب من الأسباب"[٢١٧]، وعدلوا عن (لنخرجنَّك)، ليكون أشد في التهديد والوعيد.

من هذا الباب أيضًا قوله تعالى: **(وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا آمُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِنَ الصَّاغِرِينَ)** [يوسف: ٣٢] وقوله تعالى: **(لَئِنْ أَنْجَيْتَنَا مِن هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ)** [يونس: ٢٢].

٤. خبر فعل الرجاء = (أنْ المصدرية + فعل الكون المضارع + الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)

قوله تعالى: **(فَعَسَى أُوْلَئِكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُهْتَدِينَ)** [التوبة: ١٨] "أي: من الفريق الموصوف بالمهتدين، وهو الفريق الذي الاهتداء خُلُقٌ لهم في هذه الأعمال وفي

---

[٢١٤] ينظر، شرح التسهيل: ٢١٦/٣، ٢١٧، والمساعد على تسهيل الفوائد: ٣٢٤/٢، ٣٢٥، والأساليب الإنشائية في النحو العربي: ١٧٠.
[٢١٥] ينظر، التحرير والتنوير: ٢٩٥/٨.
[٢١٦] المرجع السابق: ١٧١/١٩.
[٢١٧] روح المعاني: ١١٤/١٠.

غيرها. ووجه هذا الرجاء أنهم لما أتوا بما هو اهتداء لا محالة قوي الأمل في أن يستقرّوا على ذلك ويصير خُلُقا لهم فيكونوا من أهله، ولذلك قال: (أَنْ يَكُونُوا مِنْ الْمُهْتَدِينَ) ولم يقل (أَنْ يَكُونُوا مُهْتَدِينَ)"[٢١٨].

قوله تعالى: **(فَعَسَىٰ أَن يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ)** [القصص: ٦٧] (عسى) للترجي بمعنى فليتوقع أن يفلح[٢١٩]، و"(أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْلِحِينَ) أشد في إثبات الفلاح من (أن يُفلح)، كما تقدَّم"[٢٢٠].

النمط الثاني: الانتساب بـ(مَع).

جعلَ ابن المنيّر في رصده لـ(الموصوف المنتسب إلى جَمْع صفته) بطريق (مع) الدالة على صحبة الوصف قولَه تعالى: **(رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ)** [التوبة: ٨٧] شاهدًا تَأسِيسيًّا لهذا النمط التركيبي، فنبَّه على أنَّه لو قيل: "(رَضُوا بأن يتخلفوا) لَمَا كان في ذلك مزيدٌ على الإخبار بوقوع التخلف منهم لا غير"[٢٢١]. أمَّا قوله (مَعَ الْخَوالِفِ) فـ"ألحقهم لقبًا رديئًا، وصيَّرهم من نوعٍ رذلٍ مشهورٍ بِسِمةِ التخلُّف، حتى صارت له لقبًا لاصقًا به"[٢٢٢].

تؤدي (مع) الدالّة على الصحبة في الوصف- إذن- وظيفة (مِن) في جعْلِ الموصوفِ واحدًا من جمعٍ في أنماط تركيبية متشابهة، كما في قوله تعالى: **(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ)** [الأعراف: ١١] وقوله تعالى: **(إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ)** [الحجر: ٣١] إذ يتفق النمطان في خروج إبليس من جملة الساجدين وهم الطائعون، وهو صُلْب فكرة انتساب الموصوف إلى فئة مشهورة بصفة أو موسومةٍ بكمالها، وإنْ كانْ ذلك هنَا على جهة السَّلْب.

[٢١٨] التحرير والتنوير: ٤٦/١٠، ٤٧.
[٢١٩] ينظر، روح المعاني: ٣٠٩/١٠.
[٢٢٠] التحرير والتنوير: ٩٤/٢٠.
[٢٢١] الكشاف (الحاشية): ٣٣٥/٣.
[٢٢٢] المرجع السابق (الحاشية): ٣٣٥/٣.

كذلك تتبدى قوة العلاقة بين النمطين في قوله تعالى: **(وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ)** [التوبة: ١١٩] إذ "قرأ ابن مسعود وابن عباس: (مِنَ الصَّادِقِينَ)"[٢٢٣].

دلالة (مع) على (الصحبة في الوصف)[٢٢٤] هو المصطلح الوارد عند أبي حيان، ويسميه الطاهر بن عاشور (مَعِيَّة اعتبارية)[٢٢٥].

إنَّ صورَ هذا النمط الذي تتزعمه (مَعَ) الاعتبارية قريبةٌ من (النمط الأصل)، تأتي خالية من فعلِ (الكون) أو بالاعتماد عليه عنصرًا تركيبيًّا يحقق رسوخ معنى الخبر في الاسم، كما سبق ذكره، ويمكن تناول هذا النمط عبرَ صورتي الخبر والإنشاء على النحو الآتي:

أولا: جملة النمط الخبرية.

تتنوع الجملة الخبرية هنا بين الاسمية والفعلية، ومن شواهده قوله تعالى: **(إِلَّا الَّذِينَ تابُوا وَأَصْلَحُوا وَاعْتَصَمُوا بِاللَّهِ وَأَخْلَصُوا دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ)** [النساء: ١٤٦] (مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ) أي: "مِن المؤمنين"[٢٢٦]، وثمة فرقٌ إذ وصفَ التائبين "بأنهم (مع المؤمنين)، ولم يحكم عليهم بـ(أنهم المؤمنون)، ولا (من المؤمنين)، وإن كانوا قد صاروا مؤمنين تنفيرًا مما كانوا عليه من عظم كفر النفاق"[٢٢٧]، "وفي لفظ (مع) إيماء إلى فضيلة (مَنْ آمَنَ) مِن أول الأمر ولم يصم نفسه بالنفاق لأنَّ (مع) تدخل على المتبوع وهو الأفضل"[٢٢٨].

ففي هذا النمط نظمٌ لفريق التائبين في سِلْك المؤمنين على جهة التبعية، وإنْ لم يحظ الموصوف فيه بعراقة الاتصاف وعمق الانغماس في الجمع الوصفي كالذي يوجد في النمط الأصل المعتمد على (مِن)، بحكم أن هذا النمط فرعٌ محمولٌ على الأصل

[٢٢٣] البحر المحيط: ١١٤/٥، وينظر، الكشاف: ٣٠٦/٢.
[٢٢٤] المرجع السابق: ١٤٨/٣.
[٢٢٥] التحرير والتنوير: ٣١١/٣.
[٢٢٦] معاني القرآن: ٢٩٣/١.
[٢٢٧] البحر المحيط: ٣٩٦/٣.
[٢٢٨] التحرير والتنوير: ٢٩٢/٤.

المذكور، لذا يقرر بعض أهل اللغة والتفسير أنَّ (مِن) "أعمّ من (مَعَ)، لأنَّ كلَّ مَنْ كان مِنْ قوم فهو مَعَهُم في المعنى المأمور به، ولا ينعكس ذلك"[٢٢٩].

قد يجيء الجمع الوصفي (اسم موصول دالّ على الجمع وصلته)، نحو قوله تعالى: **(مَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُولَٰئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مِنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ)** [النساء: ٦٩] فمن اتصف بصدق الطاعة والأمانة فيها استحقّ "أن ينخرط في زمرة النبيين والصديقين والشهداء"[٢٣٠]. ومن هذا المَعِين الوصفيّ قوله- ﷺ-: "التَّاجِرُ الصَّدُوقُ الأَمِينُ مَعَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ"[٢٣١]، ذلك أنَّ من اتصف بهذين الوصفين: الصدق والأمانة[٢٣٢] استحق أن ينتظم في هذه الطبقة المعروفة بالكمال فيهما، فهو "حُكْمٌ مرتَّب على الوصف المناسب"[٢٣٣]، كما مرّ في الآية الكريمة.

ومن هذا الباب قول القائل [من السريع]:

حتى متى يا شيخ ما تستحي يَرَاكَ مَوْلَاكَ مَعَ الغَافِلِينْ

نَشاكَ بَيْنَ الخَلْقِ فِي مَنْزَه وَأَنْتَ معكوفٌ مَعَ الفَاسِقِينْ[٢٣٤]

أي: يَرَاكَ غافِلًا في جملة الغافلين، وكذا في زمرة الفاسقين.

ومن هذا الباب في العربية المعاصرة قول نازك الملائكة في قصيدتها (الهاوية):

أكادُ أسيرُ إلى الهاويهْ

مع السائرينْ[٢٣٥]

وجاء في (بنك القلق)، لتوفيق الحكيم: "وقف أدهم سليمان قرب أحد الأبواب يشاهد مع المشاهدين"[٢٣٦].

---

[٢٢٩] البحر المحيط: ١١٤/٥.
[٢٣٠] شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢١١٨.
[٢٣١] سنن الترمذي: ٥٠٦/٢، وشرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢١١٧.
[٢٣٢] ينظر، شرح الطيبي على مشكاة المصابيح: ٢١١٨.
[٢٣٣] المرجع السابق: ٢١١٨.
[٢٣٤] عقلاء المجانين: ٣٢٥.
[٢٣٥] ديوانها: ١٢٥/٢.
[٢٣٦] بنك القلق: ١٢.

كما يتصدر جملة النمط فعل (الكَون) الماضي، نحو قوله تعالى: **(وَكُنَّا نَخُوضُ مَعَ الْخَائِضِينَ)** [المدثر: ٤٥] "أي: نشرع في الباطل مع الشارعين فيه"[٢٣٧]، وفي التركيب دلالة على عراقة الصفة في نفوسهم واشتهارهم بها في الدنيا، لاشتغالهم بالأباطيل في مجالسهم.

ثمة نمط تركيبي آخر أكثر تعقيدًا يأتي فيه الفعل التام مقرونًا بفعل الكَوْن، كقولَه تعالى: **(رَضُوا بِأَنْ يَكُونُوا مَعَ الْخَوالِفِ)** [التوبة: ٨٧] ولم يقل: (رَضُوا بِأَنْ يتخلّفوا) ليفيد رسوخ معنى الوصف (التخلف والقعود) في الموصوف، فضلا عن الرضا المذلّ المُشعر بهوان الاختيار، وقد ألحقهم هذا لقبًا رديئًا هو (الخوالف) إذ الأصل أنه وصفٌ للنساء[٢٣٨].

وقد يُصرَّح بموصوف الجمع الوصفي، كما في قوله تعالى: **(وَنَطْمَعُ أَنْ يُدْخِلَنَا رَبُّنَا مَعَ الْقَوْمِ الصَّالِحِينَ)** [المائدة: ٨٤].

ثانيًا: جملة النمط الإنشائية.

تأتي على صور متنوعة، كما يأتي:

١. (فعل الأمر + الموصوف + مع + الجمع الوصفي)

قد يأتي فعل الأمر والجمع الوصفي متغايرين وهو الأصل، وقد يتفقان في الجذر المعجمي والدلالة لمزيد تأكيد، فمن الأول قوله تعالى: **(وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ)** [آل عمران: ١٩٣] (مع) "هنا مجاز عن الصحبة الزمانية إلى الصحبة في الوصف"[٢٣٩]، أي: "مخصوصين بصحبتهم، معدودين في جملتهم"[٢٤٠]، "فالمراد: الانخراط في سلكهم على سبيل الكناية، فإنه إذا كان منخرطًا في سلكهم لا يكون مع غيرهم"[٢٤١]، وهو الوجهُ في

[٢٣٧] روح المعاني: ١٤٧/١٥.
[٢٣٨] جاء في [معاني القرآن: ٤٤٧/١]: "والنساء خوالف: اللاتي يخلفن فى البيت فلا يبرحن"، والمعنى على هذا: "رضوا بأن يكونوا في تخلفهم عن الجهاد كالنساء" [مفاتيح الغيب: ١١٩/١٦].
[٢٣٩] البحر المحيط: ١٤٨/٣، وينظر، دراسات لأسلوب القرآن: ٥٨٤/٩.
[٢٤٠] الكشاف: ٤٨٤/١، وينظر، البحر المحيط: ١٤٨/٣، وروح المعاني: ٣٧٥/٢.
[٢٤١] حاشية الطيبي على الكشاف: ٣٨٨/٤، وروح المعاني: ٣٧٥/٢.

كمال الصفة الذي بيَّنه الطاهر ها هنا قائلا: "فالمعيَّة هنا معيَّة اعتبارية، وهي المشاركة في الحالة الكاملة، والمعية مع الأبرار أبلغ في الاتصاف بالدلالة، لأنه برٌّ يُرجى دوامُه وتزايده لكون صاحبه ضمن جمع يزيدونه إقبالا على البر بلسان المقال ولسان الحال"[٢٤٢].

ومن أوجه المقاصد المحتملة كذلك في "قولهم (مع الْأَبْرارِ) دون (أبرار) التذلُّل، وأنَّ المراد لسنا بأبرار فاسلكنا معهم واجعلنا من أتباعهم"[٢٤٣]، وفي ذلك هضمٌ "للنفس وحسن أدب مع إدماج مبالغة، لأنه من باب (هو من العلماء) بدل (عالم)"[٢٤٤].

ويحمل العكبري التركيب- في توجيهه الإعرابي- على أصله التقديري، فـ"(مع الْأَبْرارِ) صفة للمفعول المحذوف تقديره: (أبرارًا مع الأبرار)"[٢٤٥]، ولهذا التقدير أصلٌ في كلام العرب، وله كذلك نظيرٌ تقديري في النمط الأول على نحو ما سبق ذكره.

قوله تعالى: **(فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ)** [آل عمران: ٥٣ - المائدة: ٨٣] "أي: اكتبْنَا في زُمرة الأنبياء لأنَّ كلَّ نبي شاهد لقومه"[٢٤٦] أو "في جملة من شهد لك بالتوحيد ولأنبيائك بالتصديق"[٢٤٧]، والانتظام في (الزُّمْرة) و(الجُمْلة) شهادة بثبوت الصفة وعراقتها في الموصوف.

قوله تعالى: **(فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ)** [التوبة: ٨٣] وهو تعيير لهم[٢٤٨] بالانتساب إلى هذه الفئة المتخلفة عن الجهاد، و(الْخَالِفِينَ) لقب رديء عليهم.

منه كذلك في التركيب والدلالة قول دريد بن الصمّة [من البسيط]:

فَاقعُد بَطيئًا مَعَ الأَقوامِ ما قَعَدوا وَإِن غَزَوتَ فَلا تَبعَد مِنَ النَصَبِ[٢٤٩]

---

[٢٤٢] التحرير والتنوير: ٣١١/٣.
[٢٤٣] روح المعاني: ٣٧٥/٢.
[٢٤٤] المرجع السابق: ٣٧٥/٢. ومعلوم أنّ (هضم النفس) من الأغراض الدلالية المتحققة- بحسب السياق- في هذا النمط التركيبي، كما سبق ذكره في النمط الأول.
[٢٤٥] التبيان في إعراب القرآن: ٣٢٢/١.
[٢٤٦] مفاتيح الغيب: ٢٥٣/٨.
[٢٤٧] المرجع السابق: ٢٥٣/٨.
[٢٤٨] التحرير والتنوير: ١٧٠/١٠.
[٢٤٩] ديوانه: ٤٧.

والمراد بالأقوام: النساء، أي: القاعدين عن القتال[٢٥٠]، على التأويل بالوصف، والمعنى: اقْعُدْ بليدًا متخمًا في زمرة القاعدين وجملة الخوالف وسلك العاجزين.

ومن النوع الثاني الذي يتفق فعله مع الجمع الوصفي في الجذر المعجمي والدلالة لمزيد تأكيد قوله تعالى: **(وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ)** [آل عمران: ٤٣] "بمعنى: ولتكن صلاتكِ مع المصَلِّينَ، أي: في الجماعة أو انظمي نفسك في جملة المصلين وكوني معهم في عِدَادهم ولا تكوني في عِدَاد غيرهم"[٢٥١]، والمراد: أن تتصفي بصفاتهم وتكوني من زمرتهم[٢٥٢]، فالأسلوب من باب: (فلانٌ في عِدَاد العلماء)[٢٥٣]. ونظير ذلك أيضًا قوله تعالى: **(وَارْكَعُوا مَعَ الرَّاكِعِينَ)** [البقرة: ٤٣].

قوله تعالى: **(وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ)** [التوبة: ٤٦] هو "ذمّ لهم وتعجيز، وإلحاق بالنساء والصبيان والزَّمْنَى الذين شأنهم القعود والجثوم في البيوت"[٢٥٤].

وقوله تعالى: **(وَقِيلَ ادْخُلا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ)** [التحريم: ١٠] هو خطاب لامرأتي نوح ولوط، و(مَعَ الدَّاخِلِينَ) أي: ادخلاها في زُمرة "الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء أو مع داخليها من إخوانكما من قوم نوح وقوم لوط"[٢٥٥]، منغمسَتَيْنِ في الكفر المُفْضِي إلى هذا المآل.

وثمة نمط تركيبي آخر يأتي فيه فعل الأمر التام مقرونًا بفعل الكَوْن، كقولَه تعالى: **(ذَرْنَا نَكُن مَّعَ الْقَاعِدِينَ)** [التوبة: ٨٦] ففي (نَكُن) ترسيخ لمعنى الوصف بالعجز والتخلف المذموم عن الجهاد، وقد مهَّد لذلك بفعل الأمر "(ذَرْنَا) المقتضي الرغبة في

---

[٢٥٠] ينظر، ديوانه، هامش (٥): ٤٧.
[٢٥١] الكشاف: ٣٨٩/١.
[٢٥٢] ينظر، حاشية الطيبي على الكشاف: ١٠٥/٤.
[٢٥٣] ينظر، المرجع السابق: ١٠٥/٤. وينبه الطيبي على أنَّ اختيار (الركوع) دلالة على (الصلاة) من قبيل إطلاق الجزء على الكل، "فإنهم يطلقون معظم الشيء على الكلّ إيهامًا لكماله فيه"، وثمة إشارات أخرى لاختيار الركوع تعبيرًا عن الصلاة عند أهل التفسير يمكن الرجوع إليها في موضعها.
[٢٥٤] الكشاف: ٢٦٣/٢، وينظر، التحرير والتنوير: ١١١/١٠.
[٢٥٥] المرجع السابق: ٥٧٥/٤، وينظر، التحرير والتنوير: ١١١/١٠.

تركهم بالمدينة"[٢٥٦] تبعًا للقاعدين، وذلك "لِمَا تُؤْذِنُ به كلمة (مَعَ) من الإلحاق والتبعية"[٢٥٧].

من هذا الباب في الاستعمال المعاصر عبارة العزاء: (اللهم اغفر له... واجعله مع النبيين والصِّديقين والشهداء والصالحين).

٢. (فعل الكون الأمري + الموصوف + مَعَ + الجمع الوصفي)

قوله تعالى: (**وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ**) [التوبة: ١١٩] (مَعَ الصَّادِقِينَ) على معنى (من الصَّادِقِين)[٢٥٨]، والأمر "بـ(كُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ) أبلغ في التخلق بالصدق"[٢٥٩]، لكونه انتظامًا في سِلك المعروفين بالصدق، فـ"(مَعَ) تقتضي الصحبة في الحال والمشاركة في الوصف المقتضي للمدح"[٢٦٠]، وهذا "الأمر بكينونتهم مع الصادقين"[٢٦١] يستلزم "وجود الصادقين في كل وقت"[٢٦٢]، ذلك أنها الفئة المتمثل فيها صفة الصدق.

٣. (لا الناهية + المضارع + الموصوف + مَعَ + الجمع الوصفي)

قوله تعالى: (**يَا بُنَيَّ ارْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ الْكَافِرِينَ**) [هود: ٤٢] قوله "(وَلا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ) تأكيد للأمر وهو نهي عن مشايعة الكفرة والدخول في غمارهم"[٢٦٣]، والنهي عن كونه منهم (لا تَكُنْ مَعَ الْكافِرِينَ) أبلغ من النهي عن نفس الفعل (لا تكفرْ)، لأن (لا تكفرْ) نهي عن الالتباس بالكفر[٢٦٤]، "أمَّا النهي عن الكون بهذه الصفة يدل بالوضع على عموم الأكوان المستقبلة على تلك الصفة"[٢٦٥]، وقد مر نظير ذلك.

---

[٢٥٦] التحرير والتنوير: ١٧٤/١٠.
[٢٥٧] المرجع السابق: ١٧٤/١٠.
[٢٥٨] ينظر، دراسات لأسلوب القرآن الكريم: ٥٨٤/٩.
[٢٥٩] التحرير والتنوير: ٢٢٣/١٠.
[٢٦٠] المرجع السابق: ٢٩٢/٤.
[٢٦١] المرجع السابق: ٢٩٢/٤.
[٢٦٢] مفاتيح الغيب: ١٦٦/١٦.
[٢٦٣] روح المعاني: ٢٥٧/٦.
[٢٦٤] ينظر، البحر المحيط: ٦١٠/١، والدر المصون: ١٧١/٢.
[٢٦٥] المرجع السابق: ٦١٠/١.

بقيت إشارة ذات دلالة هي الجمع بين أداتي الانتساب (مِنْ) و(مَعَ) في النظم القرآني، كما في قوله تعالى: **(فَانْتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُنْتَظِرِينَ)** [الأعراف: ٧١- يونس: ٢٠، ١٠٢] التركيب "كناية عن ترقبه النصر"[٢٦٦]، "فالمعية في أصل الانتظار لا في الحاصل بالانتظار"[٢٦٧] ومفاد (مِن)- على ذلك- مفاد (مع)[٢٦٨] في تأكيد الدلالة على الانتظام في جملة (المُنْتَظِرِينَ).

نظير ذلك قوله تعالى: **(قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ)** [الطور: ٣١] وقوله تعالى: **(قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ)** [آل عمران: ٨١] واللافت بناء كل هذه التراكيب بين قَوْسَي جذرٍ معجمي ودلالي واحد يبتدئ بفعل الأمر (انْتَظِرُوا- تَرَبَّصُواْ- اشْهَدُوا) الدالّ على التحدي والمواجهة ويُخْتَتم بالجمع الوصفي (الْمُنْتَظِرِينَ- ٱلْمُتَرَبِّصِينَ- الشَّاهِدِينَ) الدالّ على انتظام المتكلم والمخاطَب جميعًا في جملة هذا الجمع على اختلاف المآل لكليهما.

النمط الثالث: الانتساب بـ(فِي).

يأتي حرف الجر (في) في عبارات علماء العربية الشارحة لمعنى الرابط الأصل (مِنْ) في هذا النمط التركيبي للدلالة على دخول (الموصوف) في (الجمع الوصفي)، وهي العبارات المركزية الدالَّة على انتساب (الموصوف) إلى (جمع صفته)، فيعبرون عن ذلك بقولهم: (في جُمْلَة (كذا)/ جُمْلَتهم- في طبقة (كذا)/ طبقتهم- في سِلك (كذا)/ سِلْكهم– في زمرة (كذا)/ زمرتهم). كذلك لا يخلو الرابط (في) في شواهد هذا النمط التركيبي من دلالة المعيَّة[٢٦٩]، ومن ذلك:

---

[٢٦٦] التحرير والتنوير: ١٨٧/١١.
[٢٦٧] المرجع السابق: ١٨٧/١١.
[٢٦٨] ينظر، المرجع السابق: ١٨٧/١١.
[٢٦٩] ينظر، البحر المحيط: ٤٤/٧، ومعجم حروف المعاني في القرآن الكريم: ٧٧٣/٢، ٧٧٤.

قوله تعالى: **(فَادْخُلِي فِي عِبَادِي)** [الفجر: ٢٩] "أي: في جملة عبادي الصالحين وانتظمي في سلكهم"[٢٧٠] "وكوني في جملتهم"[٢٧١]. فـ"الأسلوب من قبيل قوله: (فلانٌ في عِدَاد العلماء)، أي: له مساهمة معهم في العِلم، وأنَّ الوصف كاللقب المشهود له"[٢٧٢]. وقد صُرِّح بالصفة في قوله تعالى حكاية عن سليمان عليه السلام: **(وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ)** [النمل: ١٩].

ويُحْمَلُ حرفُ الجرِّ (في) هنا على معنى (مع)، أي: المصاحبة، فالتركيب على معنى (مع الصالحين)[٢٧٣]، ومن بحر هذين الشاهدينِ أيضًا اقتصارًا على الجمع الوصفي- وهو الشائع في الاستعمال- قولُه تعالى: **(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ)** [العنكبوت: ٩] "(لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) "أي: في زمرة الراسخين في الصلاح الكاملين فيه"[٢٧٤]، فَهُم في معيتهم وصحبتهم[٢٧٥].

من دلالات المعية كذلك في هذا النمط التركيبي قوله تعالى: **(وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ)** [الشعراء: ٢١٩]، "أي: صلاتك مع المصلين"[٢٧٦].

قوله تعالى: **(إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَابِرِينَ)** [الشعراء: ١٧١– الصافات: ١٣٥] (فِي الْغَابِرِينَ): صفة لـ(عجوزًا)، كأنه قيل: إلا عجوزًا غابرة، أي: مُقدَّرًا غبورها[٢٧٧]، والمراد أنها مِن جُمْلة المقيمين في الهلاك[٢٧٨]، فهي هالكةٌ في زمرةِ الهالكين.

قوله تعالى: **(أُولَئِكَ فِي الْأَذَلِّينَ)** [المجادلة: ٢٠] أي: "في جملة مَنْ هو أذلّ خلق الله لا ترى أحدًا أذلّ منهم"[٢٧٩] في الأوّلين والآخرين، فهم معدودون في عِدَادهم[٢٨٠].

---

[٢٧٠] حاشية الطيبي على الكشاف: ١٠٥/٤.
[٢٧١] روح المعاني: ٣٤٦/١٥.
[٢٧٢] حاشية الطيبي على الكشاف: ١٠٥/٤.
[٢٧٣] ينظر، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: ٧٧٣/٢، ٧٧٤.
[٢٧٤] روح المعاني: ٣٤٥/١٠.
[٢٧٥] ينظر، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: ٢/ ٧٧٤.
[٢٧٦] ينظر، البحر المحيط: ٤٤/٧.
[٢٧٧] ينظر، الكشاف: ٣٣٦/٣.
[٢٧٨] ينظر، الدر المصون: ٣٧٤/٥.
[٢٧٩] الكشاف: ٤٩٦/٤، وينظر، الدر المصون: ١٥/ ٢٩٦، وروح المعاني: ٢٢٨/١٤.

ومنه في الحديث الشريف: "لاَ يَزَالُ الرَّجُلُ يَذْهَبُ بِنَفْسِهِ حَتَّى يُكْتَبَ فِي الجَبَّارِينَ"[٢٨١]، أي: في جملة الجبّارين وزمرتهم، وقد جاء هذا النمط التركيبي مصرَّحًا فيه بلفظ (الزمرة) في قوله- ﷺ-: "اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مِسْكِينًا وَأَمِتْنِي مِسْكِينًا واحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ المَسَاكِينِ"[٢٨٢]، و(الزمرة) من الكلمات المركزية عند المفسرين في تحليل دلالة التركيب على انغماس الموصوف في جمع صفته.

ومن باب النفي في هذا النمط التركيبي قوله تعالى: **(مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ)** [المُلك: ١٠] أي: "في عِدَادهم وجملتهم"[٢٨٣]. وقد جاء نظير هذا التركيب بأداة الانتساب (مِن) في قوله تعالى: **(لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ)** [فاطر: ٦] الأمر الذي يَدُلّنَا على مدى تجانس طباع هذا النمط التركيبي وامتدادات أرحامه في محكم التنزيل.

استعمال (في) الظرفية المجازية المُسْتَحْضِرَة للمكان في التركيب الأول يلائم تحسر أصحاب السعير لما هم فيه من عذاب واقع يحيطهم بحكم دلالة المضي المتحققة في قوله (ما كُنَّا)، كما جاءت (مِن) في التركيب الثاني ملاءمة لدلالة الاستقبال التي سيكونون عليها في زمرة المُقدَّر عذابُهم.

ومن هذا البحر قول عبدالله بن الزُّبْعَرَى [من الكامل]:

وَاللهُ يَشهَدُ أَنَّ أَحمدَ مُصطَفى مُستَقبِلٌ في الصالِحينَ كَريمُ[٢٨٤]

وقول بشار بن برد [من الطويل]:

وَإِنّي لِأَهْوَاهَا وَإِنْ كُنتُ كاذِبًا فَلا رُفِعَتْ في الصَّالِحينَ صَلاتِي[٢٨٥]

أي: فَلا رُفِعَت صَلاتِي مع الصالحين.

---

[٢٨٠] ينظر، روح المعاني: ٢٢٨/١٤.
[٢٨١] سنن الترمذي: ٤٣٠/٣.
[٢٨٢] سنن البيهقي الكبرى: ٣٣٥/٥.
[٢٨٣] روح المعاني: ١٤/١٥.
[٢٨٤] ديوانه: ٤٦.
[٢٨٥] ديوانه: ٤١/٢.

ومنه قول القائل في الدعاء: "إنّي سمعت عليًّا، رفع الله درجته في الصالحين،... يقول..."[٢٨٦]، أي: مع الصالحين أو في جُمْلتهم. وجاء نظير ذلك في (وحي القلم): "ورجوتُ أن أكونَ قد كُتِبْتُ عند الله في الصالحين"[٢٨٧].

من عبارات هذا النمط الشائعة في الاستعمال المعاصر: (فلانٌ في عِدَاد الموتى/ الأحياء/ المفقودين/ المجهولين/ الغائبين...) ولكل هذه التراكيب أصولٌ في الاستعمال القديم، ومنه:

- جاء في (العين): "وفلانٌ في عِدَاد الصَّالحينَ، أي: يُعَدُّ فيهم"[٢٨٨].
- في (تهذيب اللغة): "... ثمّ يتلوهم في الفَضْل مَن جَعَله النبي– ﷺ– في عِدَاد الشُّهداء"[٢٨٩].
- في (شرح ديوان الحماسة): "والمعنى أنَّ مَن عَدَّ ما دون الثلاثين فهو في عِدَاد الصبيان"[٢٩٠].
- قول ديك الجن [من الخفيف]:

لم يكن فيه طائلٌ بعد أن يُدْ خِلَه الذِّكْرُ فِي عِدَاد الدُّيوكِ[٢٩١]

- قول أبي العتاهية [من الخفيف]:

في عِدَاد المَوتى وَفي سَاكِني الدُنـ ـيا (أَبو جَعفَرٍ) أَخي وَخَليلي[٢٩٢]

والظاهر أنّنا- في شأن اللغة عامة وهذا التركيب خاصة- أسرى مقولة (اللغة قديمها جديد وجديدها قديم).

قد يصرح كذلك في هذا النمط بموصوف الجمع الوصفي لمزيد تحديد على نحو ما ذُكِر في النمط الأول، كما في قوله تعالى: (**رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ**) [المؤمنون: ٩٤] ومعنى المعية ظاهر أيضًا فيه، ويلفت النظر أيضًا مجيء التركيب نفسه

[٢٨٦] شرح نهج البلاغة: ٣٠٥/١٩.
[٢٨٧] وحي القلم: ١٥٩/٢.
[٢٨٨] العين، عدد: ٧٩/١.
[٢٨٩] تهذيب اللغة: ٤٨/٦.
[٢٩٠] شرح ديوان الحماسة، المجلد الثاني: ١٣٠١/٣.
[٢٩١] ينظر، ديوانه: ٢٠٦، وثمار القلوب: ٤٧٠.
[٢٩٢] ينظر، ديوانه: ٢٨٠.

في موضع آخر باستعمال أداة الربط (مع) في قوله تعالى: **(وَلَا تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** [الأعراف: ١٥٠] وقوله تعالى: **(رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ)** [الأعراف: ١٥٠] مما يؤكد تجانس طباع هذا التركيب في شتى صوره.

النمط الرابع: الانتساب بـ(الباء).

هذا النمط التركيبي هو أقل الأنماط استعمالًا، و(الباء) فيه محمولة على معنى المعية، كما في قوله تعالى: **(تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ)** [يوسف: ١٠١] (الباء) تدل على المصاحبة[٢٩٣]، أي: مع عامة الصالحين، بغرض هضم النفس، لأنه من كبار الأنبياء، والصلاح أول درجات المؤمنين[٢٩٤]. وقد يكون المراد من (الصالحين) آباءه الكرام يعقوب وإسحاق وإبراهيم عليهم السلام، فلا إشكال حينئذ[٢٩٥]، والمراد في الحالين جعل الموصوف في معية الجمع وجملته.

مرَّ أنّ من أغراض جَعْلِ الموصوف واحدًا من جمعٍ (هضم النفس)، فهذا غرض متواتر في أنماط هذا التركيب. وظاهر أن هذا النمط هو الأقل استعمالا بين أنماط التركيب، وكلها محمولة على الأصل الأكثر شيوعًا (الموصوف + مِن + الجمع الوصفي)، على أنَّ هذا لا ينفي تداخل الدلالات الوظيفية بين روابط الأنماط.

الخاتمة والنتائج

قصد هذا البحث إلى رصد تركيب (الموصوف المنتسب إلى جَمْعِ صفتِه)، وهو نمطٌ تركيبيٌّ أصيلٌ في لسان العرب، بيدَ أنَّه جاء في محكم التنزيل أكثر توسُّعًا وأنضح حيوية، فكان أمكنَ في الطبع وأطوعَ استعمالًا وأنصعَ بيانًا، لتمكنه في السياق. كذلك عُنيَ البحث بوضع تقسيم لأنماط هذا التركيب وتحليل عناصره تركيبيًّا وصرفيًّا ودلاليًّا متخذًا أداة الربط التي جعلت (الموصوف واحدًا من جمعٍ) معيارًا فاصلا بين أنماط التركيب، وخلَص البحث من كل ذلك إلى النتائج الآتية:

[٢٩٣] ينظر، معجم حروف المعاني في القرآن الكريم: ٤٧٤/١.
[٢٩٤] ينظر، روح المعاني: ٥٩/٧.
[٢٩٥] ينظر، المرجع السابق: ٥٩/٧.

١. ينهض هذا النمط التركيبي على ثلاثة عناصر رئيسة هي: (الموصوف + أداة الربط "مِن / مع/ في/ الباء" + الجمع الوصفي)، وتتدرج هذه الأنماط الأربعة من جهة شيوع الاستعمال وأصالته بحسب أداة الربط، فالأصل الانتساب بـ(مِنْ) فـ(مَعَ) فـ(في) فـ(الباء).

٢. الدور الدلالي لأداة الربط أو الانتساب[٢٩٦] (مِن) وأخواتها هو جعلُ الموصوف واحدًا من جمعٍ، وذلك بطريق الانتقال المجازي للأداة من دلالة التبعيض المادي إلى تحقيق انتماء الموصوف إلى جمعِ صفتِه تَخَلُّقًا بها.

٣. سائر أدوات الربط تؤدي الوظيفة الدلالية المذكورة آنفًا حملًا على (مِن)، كذلك لا تغيب دلالة المعيّة عن سائر التراكيب، كما تحضر دلالة (في) الظرفية في العبارات المركزية الدالة على انغماس (الموصوف) في جمعِ (صفتِه)، نحو: (في جُمْلَتهم- في طبقتهم- في سِلْكهم– في زمرتهم)، فثمة تداخل في الوظائف الدلالية لهذه الأدوات جميعًا.

٤. الأغلب في الموصوف المنتسب إلى جمعٍ أن يكون مفردًا مذكرًا، نحو قوله تعالى: (وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ) [آل عمران: ٣٩]، وجاء- على قلة- مفردًا مؤنثًا أو مثنى أو جمعًا، نحو قوله تعالى: **(وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ)** [التحريم: ١٢] و**(أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ)** [الأعراف: ٢٠] و**(وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُم مِّنَ الْمَقْبُوحِينَ)** [القصص: ٤٢].

٥. قد ثبت في كلام العرب ذِكْر الصفة قبل أداة الربط، نحو: (هو شريف من الأشراف)، لكنّ الاستعمال القرآني غلب عليه الاكتفاء بالموصوف، نحو: **(وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ)** [يوسف: ٢٧]، لهذا غابت الصفة في المثال التفسيري الذي ساقه أهل اللغة والتفسير عنوانًا تأسيسيًّا لهذا الباب، وهو: (فلانٌ من العلماء).

[٢٩٦] أي: انتساب الموصوف في زمرة الجمع الوصفي، ولو قيل في توصيفها الدلالي (أداة الغمس) لغَمْسِهَا الموصوف في جملة الجمع الوصفي لما جَافَى ذلك وجه الكلام.

٦. ذِكْرُ الصفة قبل أداة الربط في كلام العرب جعله وَجْهًا من أوجه تحليل التركيب عند علماء العربية في النمط القرآني، فقدّروها كما في قول أبي حيان: "(وَمِنَ الْمُقَرَّبِينَ) معطوف على قوله: (وجيهًا)، وتقديره: ومُقَرَّبًا من جملة المقربين"، وهو الوجهُ في سَبْقِ تخلُّق الموصوف بالصفة المذكورة، ليجعله ذلك مستحقًّا للانتظام في جملة الجمع الوصفي، مما يُرَسِّخُ الصفة فيه.

٧. طوى الاستعمال القرآني ذكر الصفة اغتناءً بأداة الربط والجمع الوصفي عن إعادة ذكرها، ليكون أخصر تركيبًا وأكثف دلالة وأطوع بيانًا، وهو الوجه الشائع في مفارقة الأسلوب القرآني لكلام العرب في هذا النمط، على أنَّ الصفة ظهرت في تقدير النحاة.

٨. مَبْنَى هذا النمط التركيبي على الوصفية، فما جاء منه جامدًا في المفرد وجمعه مؤولٌ بوصفٍ، نحو قولهم: "(ما هو إلا سَبُعٌ من السِّباعِ)، للضَّرَّارِ".

٩. الأغلب في صيغة (الجمع الوصفي) أن يكون جمع مذكر سالم، وقد يأتي جمع تكسير، مقترنًا في الحالتين بـ(أل) الجنسية المجازية التي تفيد الكمال في الصفة تعظيمًا أو تحقيرًا وفروعهما من تهويل أو تقليل، أو (أل) العهدية الدالة على شهرة جماعة الموصوفين بهذا الوصف على إرادة (المعنى اللقبيّ).

وقد يأتي (الجمع الوصفي) مضافًا إلى العَلَم أو ما فيه (أل)، كما في قولهم: (سيِّدٌ من سادات قريش)، و(فلانٌ من شياطين العرب)، و(فلانٌ من علماء الأزهر).

١٠. كان الأصل في هذا النمط التركيبي التعبير بالفعل أو الوصف المفرد، فعُدِلَ عن ذلك إلى صيغة الجمع الوصفي، كما في قوله تعالى: **(وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)** [يونس: ٩٠]، بدلًا من (وَأَنَا مسلم) أو (أسلَمْتُ) اللذين لا يفيدان أكثر من التلبس بالفعل، أما (الجمع الوصفي) فيفيد مع التلبس أنَّ الموصوف من قوم عرفوا واشتهروا بهذا الوصف، فيكون راسخ القدم عريق العُرْف فيه.

١١. الأصل في هذا النمط التركيبي أن يكون للجمع الوصفي وجود مادي حقيقي، لكن ذلك ليس شرطًا وشاهده النموذجي قوله تعالى: **(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ)** [البقرة: ٣٤] فهذا الأسلوب دليل كنائي واستعمال بلاغي جرى عليه نظم الآية لجعل الموصوف واحدًا من جمعٍ تعبيرًا عن عراقته في الصفة وشهرته بها بحكم انتظامه في زمرة الكافرين وهو أولهم أو حسب ما يقتضيه السياق من وصف.

١٢. قد يُصَرَّح بـ(موصوف) (الجمع الوصفي) كما في قول بعض العرب: "وهي سَمحة من نسوة سِمَاح، ورجل مِسْمَاحٌ من قوم مساميح"، وقوله تعالى: **(وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبادِكَ الصَّالِحِينَ)** [النمل: ١٩]، وقد يُكتَفى بـ(موصوف) (الجمع الوصفي) مع تقدير صفته، نحو قوله تعالى: **(فَادْخُلِي فِي عِبَادِي)** [الفجر: ٢٩] "أي: في جملة عبادي الصالحين".

١٣. الأصل الغالب في نمط (الموصوف المنتسب إلى جَمْع صفته) أن يكون جملة اسمية أو ما في حكمها، يقع فيها (الموصوف) مبتدأً، و(الجمع) المجرور بـ(مِن) في موقع الخبر، قوله تعالى: **(وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)** [يونس: ٩٠] وقد يقع (الموصوف) حالا و(شبه الجملة) صفة له، نحو قوله تعالى: **(وَنَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ)** [آل عمران: ٣٩].

١٤. استعمال فعل (الكينونة) في هذا النمط التركيبي، نحو قوله تعالى: **(إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ)** [القصص: ٤] يفيد خصوصيتين: دلالة (كان) على رسوخ معنى الخبر في اسمها، وإثبات الوصف لموصوف بعنوان أنه واحد من جماعةٍ موصوفينَ به.

١٥. يدل فعل الكينونة في صيغة الأمر في هذا النمط التركيبي، كقوله تعالى: **(فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ)** [الأعراف: ١٤٤] على دوام الحدث الوصفي في كل الأوقات، فضلا عن رسوخ معنى الخبر في اسمها.

١٦.تتنوع جملة هذا النمط التركيبي بين الإثبات والنفي بصورهما المختلفة وأبلغيَّة هذا النمط في النفي كَأَبْلَغِيَّتِهِ في الإثبات، فهو مِنْ قَبِيلِ تَأْكِيدِ النَّفْيِ أو كمال السلْب.

١٧.تقوَى أبلغية النفي وشبهه إذا تسلط على فعل الكينونة، كقوله تعالى: **(وَما كانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ)** [البقرة: ١٣٥] و**(فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الجاهلين)** [الأنعام: ٣٥] كما أنَّ النهي عن الكون يدلّ نصًّا على عموم الأوقات المستقبلة.

١٨.الغرض الدلالي الرئيس لهذا النمط التركيبي الشهادة للموصوف بكمال الصفة وعراقة شهرته بها بحكم انتسابه إلى فئة مشهود لها بذلك، سواء كانت هذه الصفة رديئة أم حسنة. ومن الأغراض الفرعية لهذا النمط التركيبي:

أ) (هضم النفس) بإذابة ذات الموصوف في المجموع المشهور بهذه الصفة على جهة الكمال فيها، كقوله تعالى: **(سَتَجِدُنِي إِنْ شاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ)** [الصافات: ١٠٢].

ب) التعريض بالزمرة والجملة في نمط النفي والنهي، كقوله تعالى: **(وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ)** [ص: ٨٦] و**(فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الجَاهِلِينَ)** [الأنعام: ٣٥]

ج) ترجيح (انتساب الموصوف إلى زمرة الجمع الوصفي) الوارد بعد (أم) على ما قبلها في صيغة الاستفهام، كما في قوله تعالى: **(أَصَدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ)** [النمل: ٢٧] على جهة الاتهام والإدانة- وهو الوارد في القرآن الكريم- أو غيرهما وفقًا للسياق.

د) دلالة الإقرار على سبيل الخطأ والاعتذار، كقوله تعالى: **(فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ)** [الشعراء: ٢٠].

ه) التمسُّح والادّعاء، كقوله تعالى على لسان فرعون وهو يغرق: **(وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ)** [يونس: ٩٠].

و) التشبّع واليقين، كقوله تعالى: **(وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ)** [فصلت: ٣٣].

وبعدُ، فهذا نمطٌ من أنماطِ التراكيب العربية العريقة التي استخلصها القرآن الكريم، فجعلها أطوع للسان العربي وأقرب منالا في البيان وأكثر قابلية للتداول بحكم الاستكثار وطي الصفة وقياسية الجمع الوصفي والتنوع الذي أضافه في صوره، فضلا عن سيرورتها في العربية المعاصرة، ولا شك أنَّ الناظر في محكم التنزيل سيجد أنماطًا أخرى من الأساليب جديرة بالتأمل والبحث والدرس.

المصادر والمراجع

١. أساس البلاغة، للزمخشري، مطبوعات الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر (٩٦)، ٢٠٠٣م.

٢. الأساليب الإنشائية في النحو العربي، عبد السلام هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط٥، ١٤٢١هـ-٢٠٠١م.

٣. الأصول دراسة ابستيمولوجية لأصول الفكر اللغوي العربي، للدكتور تمام حسان، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٤. أمالي الزجاجي، لأبي القاسم الزجاجي، تحقيق وشرح عبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م.

٥. أمالي المرتضى، للشريف المرتضى، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربية عيسى البابلي الحلبي، ط١، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.

٦. البحر المحيط، لأبي حيان الأندلسي، تحقيق الشيخ أحمد عادل عبد الموجود وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٧. البسيط، لابن أبى الربيع، تحقيق الدكتور عَيَّاد بن عيد الثبيتي، دار الغرب الإسلامى، بيروت، ١٩٨٦م.

٨. بنك القلق، لتوفيق الحكيم، مكتبة مصر، القاهرة، د. ت.

٩. تاج العروس من جواهر القاموس، للزَّبيدي، تحقيق مجموعة من المحققين، دار الهداية، بيروت، ١٣٨٥هـ.

١٠. التبيان فى إعراب القرآن، تحقيق علي محمد البجاوي، دار الجيل، بيروت، ط٢، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

١١. التحرير والتنوير، للطاهر بن عاشور، الدار التونسية للنشر، تونس، ١٩٨٤م.

١٢. ثمار القلوب في المضاف والمنسوب، لأبي منصور الثعالبي، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة، ط١، ١٩٦٥م.

١٣. الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي، تحقيق أحمد البردوني وآخرين، دار الكتب المصرية، القاهرة، ط٢، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤م.

١٤. الجنى الداني في حروف المعاني، للمرادي، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة وآخرين، بيروت، ط١، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
١٥. حاشية الطيبي على الكشاف (فتوح الغيب في الكشف عن قناع الريب)، للطِّيبي، مطبوعات وحدة البحوث والدراسات، دبي، ط١، ١٤٣٤هـ-٢٠١٣م.
١٦. دراسات لأسلوب القرآن الكريم، للدكتور محمد عبد الخالق عضيمة، دار الحديث، القاهرة، ١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م.
١٧. الدرّ المصون فى علوم الكتاب المكنون، للسمين الحلبي، تحقيق الدكتور أحمد محمد الخرَّاط، دار القلم دمشق، ط١، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
١٨. ديوان أبي العتاهية، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، ١٤٠٦هـ-١٩٨٦م.
١٩. ديوان الإمام الشافعي، اعتنى به: عبد الرحمن المصطاوي، دار المعرفة، بيروت، ط٣، ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٥م.
٢٠. ديوان البارودي، حققه وضبطه وشرحه على الجارم ومحمد شفيق معروف، دار العودة، بيروت، ١٩٩٨م.
٢١. ديوان بشار بن برد، شرح وتحقيق الطاهر بن عاشور، لجنة التأليف والترجمة والنشر، القاهرة، ١٣٧٣هـ-١٩٥٤م.
٢٢. ديوان دريد بن الصمة، تحقيق الدكتور عمر عبد الرسول، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٥م.
٢٣. ديوان ديك الجن، حققه وأعدّ تكملته الدكتور أحمد مطلوب وعبد الله الجَبوري، دار الثقافة، بيروت، د. ت.
٢٤. ديوان نازك الملائكة، دار العودة، بيروت، ١٩٧٧م.
٢٥. روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، لشهاب الدين الآلوسي، تحقيق علي عبد الباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ.
٢٦. رَيحانة الكُتَّاب ونُجْعَة المُنْتَاب، للسان الدين بن الخطيب، تحقيق: محمد عبد الله عنان، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٩٨٠م.

٢٧. سر صناعة الإعراب، لابن جني، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م.

٢٨. سنن البيهقي الكبرى، للبيهقي، تحقيق الدكتور حسن هنداوي، دار القلم، دمشق، ط٢، ١٤١٣ه- ١٩٩٣م.

٢٩. سنن الترمذي، للترمذي، تحقيق بشار عواد معروف، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٨م.

٣٠. شرح التسهيل، لابن مالك، تحقيق الدكتور عبد الرحمن السيد، والدكتور محمد بدوي المختون، دار هجر، القاهرة، ط١، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.

٣١. شرح ديوان الحماسة، للمرزوقي، نشره أحمد أمين وعبد السلام هارون، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ - ١٩٩١م.

٣٢. شرح الطيبي على مشكاة المصابيح، تحقيق ودراسة د. عبد الحميد هنداوي، مكتبة نزار مصطفى الباز، مكة المكرمة-الرياض، ط١، ١٤١٧هـ-١٩٩٧م.

٣٣. شرح المفصل، لابن يعيش، تحقيق الدكتور إميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م.

٣٤. شرح نهج البلاغة، لابن أبي الحديد، تحقيق محمد أبو الفضل ابراهيم، دار إحياء الكتب العربية، ط١، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م.

٣٥. شعر عبدالله بن الزبعَرَى، تحقيق الدكتور يحيى الجبوري، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط٢، ١٤٠١هـ-١٩٨١م.

٣٦. صحيح البخاري، لمحمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخارى، دار الشعب، القاهرة، ط١، ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م.

٣٧. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، د. ت.

٣٨. العين، للخليل بن أحمد الفراهيدي، تحقيق الدكتور مهدي المخزومي والدكتور إبراهيم السامرائي، مكتبة الهلال، د. ت.

٣٩. الكامل في اللغة والأدب، للمبرد، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الفكر العربي، القاهرة، ط٣، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤٠. الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التنزيل، لأبي القاسم محمود بن عمر الزمخشري، تحقيق عبدالرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م.

٤١. مجمع الأمثال، للميداني النيسابوري، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، دار المعرفة، بيروت، د. ت.

٤٢. المحكم والمحيط الأعظم، لابن سيده، تحقيق: الدكتور عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٠م.

٤٣. المساعد على تسهيل الفوائد، لابن عقيل، تحقيق الدكتور محمد كامل بركات، مطبوعات جامعة أم القرى، مكة المكرمة، ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م.

٤٤. مسند البزار، لأبي بكر البزار، تحقيق د. محفوظ الرحمن زين الله وآخرين، مكتبة العلوم والحكم، المدينة المنورة، ط١، ١٤٠٩هـ-١٩٨٨م.

٤٥. معجم حروف المعاني في القرآن الكريم، صنَّفه محمد حسن الشريف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط١، ١٤١٧هـ - ١٩٦٦م.

٤٦. مفاتيح الغيب، لفخر الدين الرازي، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠ه.

٤٧. المفضليات، للمفضل الضبي، تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وعبد السلام هارون، دار المعارف، القاهرة، ط٦، ١٩٩٣م.

٤٨. نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، للبقاعي، تحقيق: عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م.

٤٩. نفحة الريحانة ورشحة طلاء الحانة، لمحب الدين بن محمد المحبي، تحقيق: أحمد عناية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ -٢٠٠٥م.

٥٠. النهاية في غريب الحديث والأثر، لابن الأثير، تحقيق طاهر الزاوي ومحمود الطناحي، المكتبة العلمية، بيروت، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

٥١. همع الهوامع، للسيوطي، تحقيق الدكتور عبد العال سالم مكرم، عالم الكتب، القاهرة، ١٤٢١هـ - ٢٠٠١م.

٥٢. وحي القلم، لمصطفى صادق الرافعي، راجعه واعتنى به د. درويش الجويدي، المكتبة العصرية، بيروت، د. ت.